كتاب الطبقات

للإمام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط شباب العصفري

توفي سنة ٢٤٠هـ

رواية

أبي عمران موسى بن زكريا التستري

حققه وقدم له

الدكتور أكرم ضياء العمري

رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

دار طيبة
للنشر والتوزيع - الرياض

كتاب الطبقات

الطبعة الاولى
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
الطبعة الثانية
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دار طيبة
للنشر والتوزيع - الرياض
البطحاء - عمارة الراجحي (٢) - شقة ٢١٢
ص.ب: ٧٦١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه .

(أما بعد) فإن كتاب (الطبقات) لمؤلفه خليفة بن خياط العصفري يعتبر من أقدم ماكتب في هذا الفن ، ونظراً لقدمه ومكانة مؤلفه ودقة معلوماته وخدمته لعلم الحديث النبوي الشريف ، فقد رأيت اعادة نشره بعد أن نفذت نسخ الطبعة الأولى منذ سنوات عديدة .

ويمتاز هذا السفر القيِّم بأنه يعرّف بعدد ضخم من رواة الأحاديث في عصور السنة الذهبية الأولى مع صغر حجمه مما ييسِّر اقتناءه والافادة السريعة في الكشف عن الرواة .

وقد تولت نشره هذه المرة مؤسسة (دار طيبة بالرياض) .

رغبة منها في خدمة سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام بتيسير الكتاب للعلماء والباحثين ، فجزى الله أصحابها كل خير وأثابهم نعم الثواب والله من وراء القصد .

المحقق

المدينة المنورة في ١/ صفر/١٤٠٢ هـ .

القسم الثاني من رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي قدمت الى جامعة بغداد في نيسان ١٩٦٦ ونوقشت في تشرين ثاني سنة ١٩٦٦ فنالت تقدير جيد جدا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي

اقتضت ظروف الجزيرة العربية واحوالها ان ينظم العرب حياتهم فيها على اسس قبلية ، فالقبيلة هى الوحدة السياسية والاجتماعية ؛ وهي تتكون من افراد يتحدرون من جد واحد يحملون اسمه ، ويتحملون مسؤوليات وواجبات مشتركة ؛ وهم يقيمون ويضعنون سوية ، ويشتركون في الدفاع عن القبيلة وعن أي من افرادها ازاء كل خطر يواجههم ؛ فالقبيلة هي المظهر الاولي البسيط للدولة ؛ والرابطة التى تربط الافراد هي رابطة الـــدم والمصلحة ، وهذه الرابطة او العصبية تقوم مقام ما ندعوه اليوم « القومية » ،

وهي قائمة على أسس بيولوجية من الدم لا يمكن تغييرها أو تبديلها ، ويتوقف على مدى قوتها تماسك القبيلة وبقاؤها ؛ وهي الوسيلة الرئيسية للحياة في الجزيرة عندما لم تكن فيها حكومة قوية تهيمن عليها .

ولما كان افراد القبيلة متحدرين جميعا من جد واحد ، لذلك كانوا يعتبرون متكافئين في الاصل ، كما ان الفقر والجدب وتعرض القبائل للغزو والنهب ، جعل التباين الطبقي على اسس الثروة المادية ضيقا ، بل يكاد يكون معدوما . غير ان هذا لا يعني ان افراد القبيلة كانوا متساوين تماما ، ذلك ان المواهب والاعمال الشخصية أدت الى بروز « الفردية » . والواقع أن تمسك العرب بالروح القبلية ، واعتدادهم بالعصبية الجماعية لم يصل الى الحد الذي يمحو الفردية ؛ بل العكس فأن المجتمع البدوي كان يعطي الفرد

مجالا واسعا لاظهار مواهبه وكان يقدر النابغين من الافراد ، ويفخر بمواهبهم واعمالهم الفردية ويعتبرها مفخرة للعشيرة كلها ؛ والواقع ان مفاخر العشيرة اساسها اعمال افراد من تلك العشيرة • وعلى هذا فانهم مع اهتمامهم بالنسب واعتزازهم بالرابطة القبلية ، كانوا يهتمون بالمفاخر ويتناقلون اخبار اعمال الافراد العظيمة •

وقد قضت احوال الصحراء ان تكون مفاخر البدو باعمال الفروسية والشجاعة والدفاع عن القبيلة وحماية الضعيف والترفع عن الصغائر وكذلك بالمواهب الادبية والصفات الحميدة عند بعض الافراد • وقد كانت هذه المفاخر محصورة في نطاق القبيلة الضيق •

ثم جاء الاسلام بمبادئه وافكاره الجديدة التي تتجلى في القـرآن الكريم ، وقد أكد الكتاب المنزل على وجوب الاهتمام بدراسة احوال الامم الماضية لاخذ العبرة منها ، وذكر أحوال كثير من الامم والانبياء وما أصابهم ، كما أقر وجود المجتمعات القبلية وتباين الافراد ، ولكنه جعل معيار التفاضل بالتقوى اى بمدى التمسك بمبادىء الدين الاسلامي والتحلي بالمثل الاخلاقية التي يدعو اليها ، فقال تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ومن هذا يتبين ان العنصر الاساسي الجديد الذى جاء به القرآن الكريم هو المعيار الاخلاقي الجديد الذى على اساسه يتفاضل البشر والذى هو العامل القوي في تحرير الفردية من طغيان عصبية القبيلة وجماعيتها •

اما القبيلة ذاتها كوحدة اجتماعية وقانونية فلم يعترض القرآن على بقائها ، سوى انها فقدت ما كان لها من استقلال تام واصبحت جزءا من الامة ، وخاضعة لهيمنة الدولة •

وقد ظلت القبيلة هى الوحدة الاجتماعية للعرب ، فأقرها الرسول في صحيفته المشهورة التي أعلن فيها التنظيم الذي ينوي اتباعه في المدينة ؛ فقد ذكر في هذه الصحيفة معظم عشائر اهل المدينة كلا على حدة وبين ان افراد كل عشيرة « على معاقلهم ويفدون عانيهم بالمعروف » • ولما اصبحت الجزيرة

ضمن دولة الاسلام بعد فتح مكة ؛ ابقى الرسول صلى الله عليه وسلم المجموعات القبلية وابقى لكل قبيلة رؤساءها السابقين اذا لم يبقوا على الشرك ، واكتفى بارسال المصدقين لجمع الصدقات، والمعلمين لتعليمهم مبادىء الدين •

وبعد القضاء على الردة واعادة الجزيرة الى لواء دولة الاسلام بدأت الفتوح الاسلامية التي ادت الى امتداد دولة الاسلام في فترة قصيرة من الزمن من أواسط اسيا حتى المحيط الاطلسي ، وقد كان عماد هذه الفتوح اهل الجزيرة الذين كان منهم الجند والقواد والولاة والخلفاء • وقد اقتضت الاحوال الجديدة توطين المقاتلة العرب في مراكز عسكرية جديدة يقومون منها بالفتوح والدفاع عن الحدود وتوطيد الامن والنظم في الدولة الجديدة الواسعة •

وتدعى هذه المراكز العسكرية بالامصار ؛ وهي تتميز عن المدن الاعجمية من حيث ان سكانها عرب مسلمون ، وعن بقية المدن العربية من حيث ان سكانها هم المقاتلة اي الجيش المسلم الذي يقوم بالفتوح والقتال ويأخذ العطاء والرزق •

وقد كان للتنظيمات القبلية ومثلها اثر كبير في الامصار ، نظرا لان المقاتلة العرب الذين استوطنوا الامصار كانوا حديثي عهد بالبداوة وبالحياة القبلية ، فكان افراد كل عشيرة يسكنون معا في خطة تسمى باسم العشيرة ، وكانوا يحملون مسؤوليات قانونية مشتركة ، فهم يرثون من لا وارث له ويشتركون في دفع دية قتل الخطأ الذى يقترفه احد افراد العشيرة ، ويعملون على منع حدوث الشغب والفتن فيها • وقد ادركت الدولة قوة الرابطة القبلية في الامصار فراعتها في تنظيماتها وعينت لكل عشيرة عريفا يحفظ سجلات افرادها ويبلغهم اوامر الحكومة ، ويوزع عليهم العطاء • ومع ان استقرار الناس في الامصار في ظل حكومة قوية كان من شأنه ان يساعد على الاختلاط والامتزاج وعلى اظهار روابط جديدة تعمل على اضعاف الرابطة القبلية ؛ الا ان هذه العوامل كانت بطيئة التأثير واحتاجت الى اكثر من قرنين من الزمن حتى تطغى عليها ؛ لذلك لا نعجب اذا رأينا

للنظام القبلي اثرا في تسمية الناس وتصنيفهم •

وقد ادرك العرب عظمة الاسلام ودوره الكبير في توحيدهم وجعلهم سادة العالم ، وفي توجيههم الى مكارم الاخلاق ؛ وصاروا يقدرون سمو مبادئه وأهمية مثله ، فأخذوا يتدارسونه ويبحثون فيه • وقد ادركوا قيمة العهود الاولى من الاسلام ؛ ففيها عاش الرسول وصحبه الاكرمون الذين ساعد اتصالهم الوثيق الطويل بالرسول على تشبعهم بروح الاسلام ؛ وفيها ايضا تمت الانجازات السياسية الكبرى في فتح الشرق الاوسط وضمه الى الدولة الاسلامية ؛ وفي هذه العهود الاولى كان الاسلام اقرب الى منابعه الاصيلة ؛ القرآن والرسول والصحابة ولم تعقده الافكار والمشاكل الجديدة التي جاءت من الاعاجم •

وقد ادى كل هذا الى تثبيت فكرة تقدير الناس تبعا لقربهم من منابع الاسلام الاولى ، وتصنيف المهتمين بشؤون الاسلام ودراسته تبعا الى مدى قربهم من العهود الاولى ، وهذه الفكرة تنسجم مع تفكير العرب التاريخي الذي يتجلى في اهتمامهم بالانساب والمفاخرات •

وتسهيلا للدراسة فقد صنفوا الناس الى طبقات تبعا لقربهم وبعدهم عن منابع الاسلام الاولى ؛ غير انهم اختلفوا في عدد الطبقات وما تعبر عنه كل طبقة • والواقع ان فكرة التقسيم تبعا للطبقات امتدت الى كثير من الميادين ، كطبقات الشعراء وطبقات النحاة وطبقات الاطباء وغيرهم • غير انه كان لها أهمية خاصة في دراسة علم الحديث الذى ازداد الاهتمام به والتدقيق فيه وخاصة بعدما كثر الوضع • ولدراسة تاريخ الرواة اهمية كبيرة لانه يساعد على معرفة الصلة الزمنية بين مختلف الرواة ويوضح العلاقة بينهم ، ويبين الاقرب منهم الى عصر الرسول • وبالنظر الى كثرة عدد من اهتم برواية الحديث ، والى تشابه اسماء كثير منهم ، فقد بدأت تظهر دراسات تخصصية في ضبط اسماء الرواة وتصنيفهم حسب زمنهم •

ان علم الطبقات متصل بعلم الرجال ؛ وهو علم مهم ومعقد ، فأما اهميته فتأتي من الصلة الوثيقة بين الرجل وارائه ، وأما التعقيد فقد جاء

من العدد الهائل للرجال الذين اشتغلوا بالحديث وروايته ، مما أدى الى الارتباك في ضبط اسماء بعضهم وصدور احكام متباينة من العلماء في حق البعض منهم ، وكذلك في الجفاف الذي يبدو على هذه الكتب • غير أن كل هذا لا يحجب الاهمية البالغة للمعلومات الواردة في كتب علم الرجال ، ولا التقدم العظيم الذي ضمنته دراسة علم الرجال في ضبط علم الحديث وتقدم علم التاريخ ودراسته •

لقد ذكرنا ان المقاتلة العرب استوطنوا في الامصار التي اصبحت مراكز الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية ، وقد نمت في كل عصر دراسات خاصة ، واتخذت البحوث فيه طابعا معينا ، فاصبحنا نسمع عن مدرسة الكوفة او البصرة او المدينة ، واصبح يتردد ذكر رأي أهل الكوفة او البصرة او المدينة ، ومن الطبيعي ان الفرد يتأثر في نشأته بالبيئة المحيطة به ، وقد أدى استقرار الاحوال وقلة الاختلاط بين الامصار الى نشوء تقاليد خاصة ، والى الاهتمام بمشاكل معينة في كل مصر ؛ لذلك كانت دراسة الامصار ذات اهمية خاصة لمعرفة الاتجاهات الفكرية •

في هذه الظروف الفكرية نشأ خليفة بن خياط في البصرة ، وألف كتابه « الطبقات » ونظمه على اساس المدن والطبقات وذكر فيه تراجم عدد كبير من رجال السلف ، وصنفهم على أساس المدن والعشائر والطبقات • وكان مركزا في دراسته ، دقيقا في بحثه ، معتمدا في معلوماته • وبالرغم من صغر حجم كتابه اذا قورن بكتاب الطبقات الكبير لمعاصره ابن سعد ، فانه لا يزال ذا قيمة خاصة بالنظر لمكانة خليفة بن خياط ولزمنه المبكر ، فكتابه يلقي ضوءا على الاتجاهات الفكرية واساليب البحث في هذا العصر الاول •

ولما اختار السيد اكرم ضياء العمري موضوعا لرسالته دراسة نشأة علم الرجال لقي من المسؤولين في جامعة بغداد كل تقدير لادراكهم صعوبة البحث وجفافه ولان هذا الجانب من الفكر الاسلامي لم يحض بالعناية التي يستحقها بالرغم من اهميته وخطورته ؛ فكان ما يتحلى به من صبر وأناة

ودقة وأمانة ، وايمان باهمية العمل ضامنا لان يكون بحثه جديرا بالتوثيق •

ومع ان البحث الاصلي الذى قام به السيد اكرم كان عن نشأة علم الرجال ، الا انه اتخذ كتاب طبقات خليفة نقطة انطلاق للبحث ، فقرأه بدقة ، وتفهم مضمونه ، واستطاع في بحثه ان يضعه ضمن النطاق العام لهذا العلم ؛ وبذلك تفهم اهمية الكتاب ومكانته •

ولا شك ان المهتمين بدراسة التاريخ والحديث وعلم الرجال سيستقبلون نشر كتاب طبقات خليفة بالترحاب ، وسيقدرون الجهد الذي بذله والدقة التي راعاها في بحثه •

بغداد في ١٧ ذي الحجة ١٣٨٦هـ
٢٩/٣/١٩٦٧م

خَليفة بن خيَّاط (شَبَاب) العصفري

هو أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب بـ « شباب » .

عاش خليفة في مدينة البصرة ، وتلقى العلم على الشيوخ الكبار في علوم القرآن والحديث والتاريخ والانساب ، وأحسن الافادة منهم حيث راعى تخصصهم فهو يعتمد في كل علم على المبرزين فيه ، فكان من شيوخه في علوم القرآن والقراآت أبو عمرو بن العلاء وورقاء بن عمرو من مشاهير القراء .. وفي الحديث يزيد بن زريع وغندر وسفيان بن عيينة وأبو داؤد الطيالسي وعبدالرحمن بن مهدي وغيرهم من كبار المحدثين في عصره .

وفي التاريخ علي بن محمد المدائني وأبو عبيدة معمر بن المثنى من أبرز الاخباريين المعاصرين .

وفي الانساب هشام بن الكلبي وأبو اليقظان سحيم بن حفص أشهر النسابين آنذاك .

ويمكننا أن نتبين بعد معرفة شيوخه الينابيع الثرة التي استقى منها مادته في علوم القرآن والحديث والتاريخ والانساب فكانت له في هذه العلوم جميعا مؤلفات تدل على تضلعه فيها فقد ذكرت له المراجع المؤلفات التالية :

١ ـ كتاب الطبقات .

٢ ـ كتاب التاريخ وقد انجزت تحقيقه وصدر الجزء الاول منه .

٣ ـ طبقات القراء .

٤ ـ أجزاء القرآن وأعشاره واسباعه وآياته .

٥ ـ المسند [في الحديث] .

٦ ـ تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان .

ومؤلفاته الاربعة الاخيرة مفقودة لم تذكرها فهارس المخطوطات ولا

أشار الى وجودها أحد من الباحثين ـ على ما أعلم ـ وقد نال خليفة بن خياط ثقة المحدثين المعاصرين والمتأخرين وبذلك امتاز على الكثيرين من المؤرخين ، فقد وثقه البخاري فنقل عنه في صحيحه كما وثقه أئمة الجرح والتعديل أمثال يحيى بن معين وعلي بن المديني وابن عدي الجرجاني ومحمد بن حبان البستي والحافظ الذهبي ٠

وقد توفي خليفة سنة ٢٤٠هـ[١] ٠

---

(١) كتبت ترجمة مفصلة لخليفة بن خياط في مقدمتي لكتابه الآخر (التاريخ) وقد ترجم له :
البخاري : التاريخ الكبير مجلد ٢ قسم ١ ص ١٧٦ ٠
مسلم : الكنى والاسماء ٣٩ ب ٠
ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل مجلد ١ قسم ٢ ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ٠
ابن عدي : الكامل في ضعفاء الرجال ٨/١٢٣ ب ـ ١٢٤ أ ٠
العقيلي : الضعفاء ٤/١٢٢ ٠
ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٨ ٠
السمعاني : الانساب ٣٩٢ ب ٠
ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/١٥ ٠
ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب ٢/١٤٠ ٠
ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/٣٢٢ ٠
الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٦ وميزان الاعتدال ١/٣١٣ والكاشف فى معرفة من له ذكر فى الكتب الستة ص ٨٠ ٠
الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٧٥ ٠
الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ص ٩٠ ٠
الصفدي : الوافي بالوفيات ٨/٢٥ أ ٠
العسقلاني : تهذيب التهذيب ٣/١٦٠ ـ ١٦١ ٠
ابن العماد : شذرات الذهب ٢/٩٤ ٠
الكتاني : الرسالة المستطرفة ص ١٣٩ ٠
اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ١/٣٥٠ ٠

وقدم خليفة في بداية كتابه (الطبقات) قائمة بمصادره التي اعتمدها ، قال « حدثنا أبو الوازع الهذلي وأمية بن خالد أبو هدبة القيسي وأبو اليقظان وسمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى وحدثني بعضه محمد بن معاوية عن أبي عبيدة وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وذكر محمد بن اسحق بعضه فألفته .. وحدثني حاتم بن مسلم وعلي بن محمد بن أبي سيف »[٢] وأشار في تسعة مواضع من طبقاته الى محمد بن عمر الواقدي مما يدل على اعتماده عليه أيضا رغم أنه لم يذكره بين مصادره. كما ذكر خلال الطبقات آخرين أخذ عنهم أيضا أحاديث أو روايات مفردة ، وسأتناول فيما يلي مصادره الرئيسة أولا ثم أتكلم عن المصادر الثانوية الاخرى ويتضمن القسم المتعلق بالصحابة من أهل المدينة ـ وكذلك الاقسام التالية بدرجة أقل ـ مادة غزيرة في النسب ، اعتمد فيها خليفة على اثنين من النسابين هما أبو اليقظان سحيم بن حفص وهشام بن الكلبي .

أبو اليقظان النسابة

اشتهر بلقبه سحيم واسمه عامر بن حفص[٣] ، وقد عاش في البصرة[٤] في القرن الثاني الهجري كما تدل على ذلك سنة وفاته (ت ١٩٠هـ)[٥] وليست لدينا تفاصيل عن حياته اذ لم يترجم له أحد سوى ابن النديم معتمدا على المدائني ، وقد نقل عنه ياقوت في معجم الادباء بعض هذه الترجمة . كان ابو اليقظان من شيوخ المدائني كما تدل المقتطفات الكثيرة التي نقلها المدائني عنه مباشرة .

وقد ذكرت الترجمة أن أباه حفص كان شديد السواد فلقب بالاسود ، وأن اكبر اولاده يدعي محمد ومن ثم فان أبا اليقظان لم يكن وحيد أبيه

(٢) خليفة : طبقات الرواة/٢ أ .
(٣) أبو عبيدة : النقائض ١/ ٩٤ ابن النديم : الفهرست/ ٩٤ .
(٤) البلاذري : أنساب الاشراف ٨/ ٦٣٤ ، ٦٥٨ .
(٥) ابن النديم : الفهرست/ ٩٤ .

ولم يكن بكر أبنائه . ونقل المدائني عن أبي اليقظان قوله « سمتني أمي خمسة عشر يوما عبيدالله »(٦) وتقف الترجمة عند هذه المعلومات الضئيلة عن أبي اليقظان ذلك لان المدائني لم يقصد أن يترجم لابي اليقظان وانما ذكر هذه المعلومات لتوضيح أسانيده التي ذكرت أبا اليقظان مرة بكنيته وأخرى باسمه وثالثة بلقبه كما ذكرت أباه مرة بالاسم وأخرى بالكنية وثالثة باللقب ، فلئلا يقع القاريء أو السامع في لبس فيحسب الواحد متعددا أوضح المدائني أن هذه الاسماء التي يذكرها تعني أبا اليقظان . قال المدائني « فاذا قلت حدثنا أبو اليقظان واذا قلت سحيم بن حفص وعامر بن حفص وعامر بن أبي محمد وعامر بن الاسود وسحيم بن الاسود وعبيدالله(٧) بن حفص وأبو اسحق فهو أبو اليقظان »(٨) . وقد ذكر الطبري عرضا خلال اسناد أورده عن أبي اليقظان أنه كان « مولى وبرة التميمي »(٩) ، كما ذكر ابن قتيبة والطبري عرضا في اسنادهما عن أبي اليقظان أن جده يدعي « قادم العجيفي »(١٠) وهذه الاشارات تلقي ضوءا على أصله وتحدد طبيعة صلته بالعرب ، وسر اهتمامه بانساب وأخبار بني تميم حتى خصها بكتابين من مؤلفاته الخمسة ، فهو مولى بني تميم وجده كان مولى بني العجيف ، والعجيف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم »(١١) ، فنسبته اليهم (قادم العجيفي) بالولاء وليس صلبية .

ثقافته ومؤلفاته :

ذكر ابن النديم أنه كان عالما بالاخبار والانساب والمآثر والمثالب ، ثقة

---

(٦) ابن النديم : الفهرست/٩٤ .
(٧) في ط ١ للفهرست (القاهرة مطبعة الاستقامة ــ بلا تاريخ) « عبدالله » وهو تصحيف أنظر ط خياط (بيروت ١٩٦٤) .
(٨) ابن النديم : الفهرست/٩٤ وقد ميز ابو الفرج الاصفهاني فى كتابه الاغاني ٢/٧ بين « عامر بن حفص » و « عامر بن الاسود » وهذا وهم منه .
(٩) الطبري : تاريخ ٤/٤٤٩ .
(١٠) ابن قتيبة : المعارف/٢٩٦ . الطبري : تاريخ ١٤٦٦/٢ .
(١١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب/٢٢٨ .

فيما يرويه [١٢] ثم قدم قائمة بمؤلفاته وهي :

١ ـ كتاب حلق تميم بعضها بعضا •

٢ ـ كتاب أخبار تميم •

٣ ـ كتاب نسب خندف وأخبارها •

٤ ـ كتاب النسب الكبير ، ويحتوى على نسب اياد ، كنانة ، أسد بن خزيمة ، الهون بن خزيمة ، هذيل بن مدركة ، قريش بن طابخة ، قيس عيلان ، ربيعة بن نزار ، تميم بن مرة •

٥ ـ كتاب النوادر ، رأيته بخط ابن سعدان •

وغير ذلك من النسب »[١٣] •

ان عناوين مؤلفاته التي تطالعنا في هذه القائمة تتفق مع جوانب ثقافته التي ذكرها ابن النديم كما تتفق مع المقتطفات التي وصلتنا منها في الكتب المتأخرة حيث نقلها الينا المؤلفون التالية اسماؤهم :

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في (التاريخ) و (الطبقات) وابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في (المعارف) و (عيون الاخبار) • والبلاذري (ت ٢٧٦هـ) في (أنساب الاشراف) و (فتوح البلدان) والطبري (ت ٣١٠هـ) في (تاريخ الرسل والملوك) والجاحظ (ت ٢٥٥) في كتابه (البيان والتبيين) و (الحيوان) وأبو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) في كتابه (الاغاني) •

كما نقل عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) نصا واحدا في كتابه (النقائض) ، ونقل عنه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) نصا آخر في (معجم الادباء) •

مادتـــــه :

نلاحظ من قائمة مؤلفاته ودراسة المقتطفات المنقولة عنها أن اهتمامه انصب على الانساب والاخبار ، وأنه أولى الاخبار الطريفة عناية خاصة

---

(١٢)و(١٣) ابن النديم : الفهرست/٩٤ •

حتى ألف كتابا في النوادر لقي رواجا حتى فترة متأخرة اذ ذكر ابن النديم اطلاعه عليه[١٤] ، ولعل النصوص الطريفة التي نقلها عنه الجاحظ هي من كتاب النوادر هذا لكنه على العموم لا يمكن تمييز مادة كل مؤلَّف من مؤلفاته لتشابه مادتها جميعا فهي خليط من الانساب والاخبار الا أنه يبدو من عناوين بعض مؤلفاته غلبة الاخبار عليها مثل كتاب « أخبار تميم » في حين أن مؤلفه الآخر (نسب خندف وأخبارها) يدل عنوانه على المحتوى الذى هو خليط من الانساب والاخبار ، ورغم أن أبا اليقظان جعل عنوان كتابه الشامل (النسب الكبير) الا أنه ضمنه كثيرا من الاخبار كما تؤكد ذلك دراسة المقتطفات التي لا يمكن عزوها الى كتبه الاخرى لانها لا تتعلق بتميم ولا بخندف فحسب بل بغيرهم من عرب الشمال أيضا • وامتزاج النسب والاخبار ظاهرة عامة عند الباحثين في هذا الحقل خلال القرن الثاني الهجري[١٥] • فنحن نجد هذا المنحى في مزج الاخبار والانساب عند مؤلف معاصر لابي اليقظان هو مؤرج بن عمرو السدوسي[١٦] في كتابه (حذف من نسب قريش) كما نجده فيما بعد يتمثل بوضوح عند مصعب بن الزبير (ت ٢٣٦هـ) والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) الذي أسمى كتابه (نسب قريش وأخبارها) وهو عنوان ينطبق على محتوى الكتاب ، ويختلف أبو اليقظان في منحاه هذا عن ابن الكلبي الذى يقتضب الاخبار كثيرا في مؤلفه (النسب الكبير) •

مادتــه في الانســاب :

وتدل المقتطفات وكذلك عناوين مؤلفات أبي اليقظان على أنه لم يتناول

---

(١٤) ابن النديم : الفهرست/ ٩٤ •

(١٥) الدوري : نشأ علم التاريخ عند العرب/ ٣٤ •

(١٦) هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي البصري النحوي (ــ ١٩٥هـ) من أصحاب الخليل بن أحمر الفراهيدي ، غلب على صنعته الشعر واللغة ومن تصانيفه كتاب الانواء وكتاب غريب القرآن وكتاب المعانى وكتاب جماهير القبائل وقد لخص نسب قريش في كتابه حذف من نسب قريش (أنظر ترجمته في بغية الرعاة ص ٤٠٠ وتاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٥٨ ووفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٩٠) •

أنساب اليمن بل اقتصر – في مؤلفاته على الاقل – على أنساب عرب الشمال ، كذلك فعل معاصره مؤرج السدوسي ، ولذلك اعتمد خليفة بن خياط على أبي اليقظان في أنساب عرب الشمال ، وكذلك اعتمد على ابن الكلبي ، في حين اعتمد على الاخير بصورة اساسية في أنساب اليمن •

ان اعتماد محمد بن حبيب[١٧] وخليفة بن خياط والبلاذري على أبي اليقظان في النسب دليل على اتقانه ودقة معلوماته ، ونستطيع أن نتبين متابعته للانساب حتى عصره من بعض المقتطفات التي وصلتنا عنه كقوله « لم يبق من بني عبد قصي أحد بادوا كلهم حتى ورث آخرهم عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ورجل آخر من بني المطلب بن عبد مناف »[١٨] وكقوله « خرج بنو ثور من الرباب وليس بالبصرة منهم اليوم أحد »[١٩] •

ومع دقة أبي اليقظان وسعة اطلاعه في الانساب فقد انتقده البلاذري وأورد له بعض الاخطاء التي وقع فيها وهي قليلة وطفيفة[٢٠] •

وقد أولى أبو اليقظان أنساب الامهات عناية خاصة حتى ضرب به المثل في أتقان أنسابهن ، فحين وصف الهذيل المازني علم مثنى بن زهير بأنساب الحمام قال « دخلت على رجل أعرف بالامهات المنجبات من سحيم بن حفص »[٢١] فلا عجب اذا كان معظم ما صرح بنقله عنه خليفة في الطبقات يتعلق بأنساب الامهات[٢٢] •

ولم يغفل مؤرج السدوسي ولا ابن الكلبي ذكر أنساب الامهات ، بل نجد ابن الكلبي يقدم جدولا خاصا بنسب بعض الامهات اضافة لما ذكره من أنسابهن ضمن كلامه عن أنساب الرجال ، لكن أبا اليقظان كان أكثر اهتماما ورعاية لهذا الجانب فتميز به وضرب به المثل ، وقد تابعه في ذلك

---

(١٧) ابن النديم : الفهرست/١٠٦ وياقوت : معجم الادباء ٦/٤٧٤ •
(١٨) البلاذري : أنساب الاشراف ٨/٦٣١ •
(١٩) المصدر السابق ١٠/٧٨٤ •
(٢٠) المصدر السابق أيضا ١٠/٧٩٧ ، ١١/٨٦٩ •
(٢١) الجاحظ : الحيوان ٣/٢٠٩ •
(٢٢) خليفة : الطبقات ٥أ ، ٦أ ، ٨أ ، ١٢ب ، ١٣أ ، ٣٠أ ، ٨٠أ ، ٩٤ب •

كل من خليفة بن خياط وأبو جعفر محمد بن حبيب . فأما خليفة فقد فاق ابن الكلبي في اهتمامه بنسب الامهات في كتابه (الطبقات) ، وأما محمد بن حبيب فقد ألف رسالة صغيرة بعنوان (أمهات النبي) .

وقد ذكر ابن النديم أن محمد بن حبيب روى عن ابي اليقظان[٢٣] ، لكنه لم ينقل عنه في كتبه (المحبّر) و (المنمق) و (أمهات النبي)[٢٤] فلعله قد نقل عنه في بقيمة كتبه المفقودة .

مادته في الاخبار :

ولما كان أبو اليقظان بصريا فقد أولى البصرة وخططها[٢٥]، وأخبار أهلها والاحداث التي وقعت فيها أو قريبا منها أو لها صلة بها عناية كبيرة ، فهو يفصل في الامور المتعلقة بالبصرة مثل موقعة الجمل وثورة ابن الاشعث ، ويذكر فتوح المشرق اذ كانت أقاليم المشرق تابعة اداريا للبصرة ، كما كانت البصرة قاعدة انطلاق الجيوش الاسلامية الفاتحة للمشرق ، وعند ذكره الفتوح اهتم ببيان طبيعة الفتح أعنوة أم صلحا ، وذكر بعض مظاهر العصبية القبلية في سجستان كما ذكر أحداث الخوارج في فارس والموصل .

ولكنه الى جانب أخباره عن البصرة واهتمامه بما يتعلق بها فقد ذكر بعض الاحداث الاخرى التي وقعت بعيدا عنها كتفصيله في أخبار وقعة الحرّة في المدينة ، ولعل لاهتمامه بابراز موقف العلماء من الاحداث أثر في اهتمامه بواقعة الحرة فقد سجل أيضا موقف عطاء بن رياح الى جانب ابن الزبير ومعارضة ابراهيم التَيْمي للحجاج ورفض سعيد بن المسيب مبايعة الوليد ابن عبدالملك .

واهتم أبو اليقظان بتسجيل سني وفيات الخلفاء والعلماء ، وربما ذكر وقت ولادتهم ، وأحيانا يذكر عقائد الاشخاص كما يشير الى اشتراكهم في

---

(٢٣) ابن النديم : الفهرست/ ١٦١ .
وأنظر ياقوت : معجم الادباء ٦/ ٤٧٤ .
(٢٤) طبعت مؤلفاته هذه (أنظر قائمة المصادر) .
(٢٥) خليفة : الطبقات/١٣أ والتاريخ ٩٧ ، ١٦١ ، ١٧١ .
البلاذري : أنساب الاشراف ١١/ ٨٦١ ، ٨٦٢ .

الغزوات والفتوح ، ويميز الصحابة عن غيرهم بقوله « له صحبة » أو بحادثة تدل على لقياه مع النبي صلى الله عليه وسلم .

ويهتم أبو اليقظان بذكر الولاة والقضاة في العراق والمشرق ، ومن كان على الشرط في البصرة والكوفة وواسط وأحيانا في المدينة ودمشق .

ويبدو أنه كان مهتما بالادب وخاصة الشعر ، ويتجلى هذا الاهتمام في ذكره الاقوال المأثورة والامثال والخطب ووصايا الخلفاء لابنائهم وعمالهم وفي عنايته بذكر الخطباء والشعراء وايراد بعض أشعارهم ، وربما ذكر رأى النقاد في قصيدة من قصائدهم(٢٦) .

وقد عني بجرير عناية خاصة اذ هو شاعر بني تميم فامتدح شعره وذكر أقوال معاصريه فيه أنه أشعر الناس ، كما ذكر أول شعر قاله جرير مما يدل على تتبعه لشعره ، وذكر شيئا من النقائض بينه وبين الفرزدق وعمر بن لجأ ، وذكر أبناء جرير وأحفادهم .

كذلك اهتم أبو اليقظان باخبار الشاعر اسماعيل بن يسار وأورد له قطعتين ضمتا خمسة وعشرين بيتا(٢٧) .

ولاشك أن ما تخلل رواياته من شعر دليل على اهتمامه به وسعة اطلاعه عليه وتذوقه له مما مكنه من الانتقاء ، وقد يطيل ذكر الشعر في الموضع الواحد اذا كانت القصيدة من الشعر الجيد(٢٨) . ومن الطبيعي في كتب النسب أن يكون المحور الذى تدور حوله هذه الاشعار هو « المناقب والمثالب » التي كان أبو اليقظان حسن الاطلاع فيها . واضافة الى اهتمام أبي اليقظان بالشعر فقد أبدى شيئا من الاهتمام باللغة وأصل اشتقاق بعض الامثـال .

ويحاول أبو اليقظان في « خبره » أن يرسم صورة حية للحادث وربما

---

(٢٦) البلاذري : أنساب الاشراف ١١/٩٠٥ .
(٢٧) أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ٤/٢٢٤ ، ٤٢٢ .
(٢٨) البلاذري : أنساب الاشراف ١١/ق ٩٠٥ .

ينقل الكلام بأسلوب مباشر على السنة المشتركين ، ويتخلل ذلك الشعر • وقلما يحاول نقد رواياته[٢٩] • ويتساهل في ذكر الاسناد كثيرا ، ويبدو أن طبيعة مادته (أخبار وأنساب) مكنته من هذا التساهل •

ميولـــــه :

اهتم أبو اليقظان كثيرا بأخبار البلاط الاموي على أن بعض اخبـاره تتعلق بالسيرة والراشدين كما أن بعضها الآخر يتعلق بالعصر العباسي الاول لكن ذلك قليل اذا قورن بما ذكره من أخبار الامويين ، ويبدو أنه كان يميل الى بني أمية ومن ثم أولى أخبارهم هذه العناية ، كما نجده ينسب زياد الى أبيه (أبي سفيان) ويذكر نسب أمه وأنها أسماء بنت الاعور من بني تميم[٣٠] • وقد طعن في خلق ودين ابن الاشعث الثائر على عبدالملك وواليه الحجاج ، وأورد خبرا في صالح يزيد بن معاوية ، ولعل لعيشه في البصرة العثمانية أثر في هذا الميل للامويين ، لكن ذلك لم يمنعه من ايراد روايات تمس الامويين أو بعض ولاتهم كالحجاج[٣١] •

ويدل وصف أبي اليقظان للشاعر اسماعيل بن يسار بأنه « كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكـان لا يزال محروما مطـرودا »[٣٢] على احساسه بالتيار الشعوبي وكراهيته له ، كما تدل عبارته عن أحد الاشخاص « بأنه كان رافضيا غاليا »[٣٣] على موقفه المخالف لهذا الاتجاه •

مصـــــادره :

وقد أخذ أبو اليقظان معلوماته في الانساب والاخبار من المصادر الاولية المباشرة فاستقى من نسابي القبائل ، وجمع الروايات الشفوية للاخبار ،

---

(٢٩) أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ١٥/٢١٤ •
(٣٠) ابن قتيبة : المعارف/٣٤٦ •
البلاذري : أنساب الاشراف ٤/٣١١ •
(٣١) ابن قتيبة : عيون الاخبار ٤/٦١ ، ٢/٢١٠ •
(٣٢) ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ٤/٤٢٢ •
(٣٣) البلاذري : أنساب الاشراف ١٠/٧٥٨ •

وألف بين ذلك كله في كتبه ، ونظرا لعدم ذكره الاسناد الا نادرا فاننا لا نستطيع تعيين الشيوخ الذين كان أبو اليقظان اكثر أخذا عنهم ، ولكن من اسانيده القليلة التي ذكرها نعلم أن من بين شيوخه المباشرين : جويرية بن اسماء حيث أشار اليه في بضع روايات وقد صرح بأخذه عنه مباشرة بقوله « حدثنا »(٣٤) .

وعبدالله بن المبارك وقد صرح بالاخذ عنه بقوله « حدثني »(٣٥) ، وذكر شيوخا آخرين هم محمد بن سيرين وهشام بن حسان وأبو عمرو المدني وعيسى بن أبي هرون وعبيد بن عمرو القرشي وسلام بن أبي مطيع والركين بن القاسم ، وصدقة بن عبيدالله المازني والوضاح بن خيثمة وأبو المقدام ومسلم بن الجارود .

ورغم وجود عدد من كبار المحدثين بين شيوخه الذين ذكرتهم الا انه لم يورد أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواياته الا نادرا(٣٦) كما لم تترجم له كتب الرجال أيضا مما يدل على عدم تأكيده على الحديث .

هشام بن محمد بن السائب الكلبي :

وهو كوفي توفي سنة ٢٠٤هـ ، أخذ الانساب عن أبيه محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) ، وكان أبوه قد جمع مادة غزيرة في الانساب من نسابي القبائل مباشرة(٣٧) ، وقد ألف هشام بين هذه الروايات الشفوية بعد ان نَقَّحها وأضاف اليها فكان ثمرة عمله كتاب « النسب الكبير » الذي وصلنا وهو يتناول أنساب العدنانيين والقحطانيين ، ويهتم ابن الكلبي بمادة النسب بالدرجة الاولى فلا يفصل الاخبار التي قدمها خلال مادة النسب ومن ثم فان اهميتها تبدو ثانوية . وهو بذلك يختلف عن معاصريه أبي اليقظان ومؤرج الذين مزجا الاخبار والانساب . وتتجلى أهمية ما كتبه ابن الكلبي

---

(٣٤) المصدر السابق ٦/٤٥٩ .
(٣٥) البلاذري : أنساب الاشراف ١٠/٨٢٠ .
(٣٦) المصدر السابق ٩/٧٢٦ .
(٣٧) ابن النديم : الفهرست/١٤٦ .

في الانساب في اعتماد الكثيرين من النسابين والمؤرخين البارزين عليه مثل محمد بن اسحق وابو جعفر محمد بن حبيب وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد والبلاذري ومحمد بن جرير الطبري •

وقد اعتمد خليفة على ابن الكلبي كثيرا في أنساب اليمن مصرحا بنقله عنه كما اعتمد عليه أيضا في أنساب العدنانيين ولكن أقل من اعتماده عليه في أنساب اليمن مفضلا استعمال مصادر أخرى في أنساب العدنانيين كأبي اليقظان وغيره ، وتبدو مادة ابن الكلبي في طبقات خليفة أوسع من مادة أبي اليقظان لان الاخير لم يتناول أنساب اليمن •

وقد أضاف خليفة الى ما نقله عن ابن الكلبي معلومات من مصادر أخرى كاضافة أنساب الامهات مما لم يذكره ابن الكلبي ، اذ أولى خليفة أنساب الامهات اهتماما خاصا يفوق اهتمام ابن الكلبي الذى كان مهتما أيضا بأنساب الامهات حتى أنه بعد أن ذكر نسب قريش أفرد جدولا خاصا بأنساب الامهات •

ويظهر أثر ابن الكلبي في تنظيم خليفة لمادة القسم الاول من الطبقات ، وهو القسم المتعلق بالصحابة من أهل المدينة وبصورة خاصة عند تناول أنساب القحطانيين حيث يتقيد خليفة بطريقة ابن الكلبي في تنظيم المادة رغم أنه يكتب مؤلفا في طبقات الرجال وليس كتابا في النسب ، فنجده يذكر أصول القبائل وتفرعها كما يفعل ابن الكلبي مع أن خليفة لم يذكر تفرع القبائل في غير أنساب القحطانيين الا نادرا ، وهناك بعض الاختلافات الاخرى في تنظيم المادة بين خليفة وابن الكلبي ، فخليفة يذكر الحلفاء والموالي بعد ذكر رجال العشيرة ، ولا يفصل ذلك ابن الكلبي ، ولعل خليفة تابع مؤرج في ذلك رغم أنه لم يذكره بين مصادره •

كما أن تسلسل ذكر العشائر عند خليفة يختلف عما عند ابن الكلبي •

ثم ان خليفة يقتصر على ذكر رواة الحديث في حين لايراعي ابن الكلبي عند ذكره بعض المشهورين من رجال العشيرة أن يكونوا من رواة الحديث •

وقد قدم ابن الكلبي ذكر علي وذريته على ذكر العباس وذريته في حين بدأ خليفة بالعباس كما فعل قبله مؤرج بن عمرو السدوسي الذى أفصح عن ميوله العباسية[٣٨] •

محمد بن اسحق (ت ١٥١هـ) :

ذكره خليفة في قائمة مصادره في بداية الطبقات[٣٩] ، كما أشار اليه في عدة مواضع من كتابه ، وفي هذه المواضع نقل عنه أنسابا يتفق فيها مع غيره[٤٠] ، أو يخالفهم فيها[٤٢] • كما اعتمده وحده في مواضع أخرى[٤١] ، وقد اعتمد خليفة على رواية بكر بن سليمان[٤٣] عن ابن اسحق •

ولم يعرف عن ابن اسحق تأليفه في الانساب لكن اهتمامه بالسيرة وأحداثها وبأخبار الخلفاء جعله يتناول أنساب الاشخاص الذين ساهموا في أحداث السيرة وما أعقبها زمن الخلفاء ، ويمكن القول أن اعتماد خليفة على ابن اسحق في الطبقات كان بدرجة أقل من اعتماده على ابن الكلبي وأبي اليقظان مما يدل على اضطلاع خليفة وتمكنه من غربلة المصادر ووضعها في مواضعها ، فهو يقدم ابن الكلبي وابي اليقظان لانهما اختصا بذلك وتميزا بتمكنهما في علم الانساب •

أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) :

ذكر خليفة في قائمة مصادره في بداية الطبقات أنه أخذ عن أبي عبيدة

---

(٣٨) أنظر حذف من نسب قريش ٦/٣٣ •
(٣٩) خليفة : الطبقات/٢أ •
(٤٠) المصدر السابق/١٩أ •
(٤١) المصدر السابق/٣ب ، ٢ب ، ٩٣ب •
(٤٢) المصدر السابق/١٢أ ، ١٩أ ، ٨٧أ •
(٤٣) بكر بن سليمان أبو يحيى البصري الاسواري ، سمع محمد بن اسحق ، وروى عنه خليفة بن خياط (أنظر البخاري : التاريخ الكبير مجلد ١ قسم ٢/٩٠ •
وابن أبي حاتم : الجرح والتعديل مجلد ١ قسم ١/٣٨٧ •

من طريق محمد بن معاوية[٤٤] ، وقد اعتمد خليفة على أبي عبيدة في مواضع من طبقاته[٤٥] ، كما قرنه بغيره في مواضع أخرى[٤٦] ، وقد ترجم ابن النديم لابي عبيدة مع اللغويين ، لتغلب الاهتمام باللغة عليه ، وقد اهتم أبو عبيدة أيضا بالانساب والتاريخ وله معرفة واسعة بالمثالب ، وقد ذكر ثعلب أن أبا عبيدة كان يرى رأي الخوارج وأنه طعن في كتابه (المثالب) على بعض أسباب النبي (صلعم)[٤٧] وبسبب تأليفه في مثالب العرب وابرازه معايبهم وكتابته عن « أخبار الفرس » أتهم أبو عبيدة بالشعوبية ، وقد ذهب الى ذلك كولدزيهر وأحمد أمين والدوري في حين نفى جب أن يكون أبو عبيدة شعوبيا وقد ساهم في حفظ لغة العرب • وقد أقذع أبو عبيدة في ذكره المثالب ، وقد صرح خليفة بنقله عن ابي عبيدة في سبع مواضع لكننا لانستطيع تحديد مدى اعتماده عليه فقد ألّفَ خليفة في (الطبقات) بين مواد المصادر المختلفة ، ولكن يمكن القول أن الاعتماد عليه ليس بنفس الدرجة الكبيرة التي نالها ابو اليقظان وابن الكلبي •

علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ) :

نقل خليفة عن المدائني مباشرة ، وذكره في قائمة مصادره كما اشار اليه ثلاث مرات خلال الطبقات في مواضع الخلاف بين النسابين • وقد عرف المدائني باهتمامه بالتاريخ والاخبار كما اهتم بالانساب أيضا حيث الف كتاب (نسب قريش وأخبارها) ولكن غلب عليه الاهتمام بالاخبار ، والراجح أن افادة خليفة منه في التاريخ اكثر من الطبقات رغم أنه وضعه في قائمة المصادر التى ذكرها في بداية الطبقات •

أمية بن خالد أبو هدبة القيسي (ت ٢٠٠هـ) :

هو أمية بن خالد بن الاسود وقيل ابن خالد بن هدبة بن عتبة الازدي الثوباني

---

(٤٤) خليفة : الطبقات/٢أ •
(٤٥) المصدر السابق/١٢أ ، ١٣أ ، ٣٤ب •
(٤٦) المصدر السابق/٩٣ب •
(٤٧) ابن النديم : الفهرست/٨٥ •

أبو عبدالله البصري ، أحد المحدثين الثقات ، وثقه أبو حاتم وأبو زرعة والترمذي والعجلي والدار قُطني[٤٨] ، ذكره خليفة بن خياط في قائمة مصادره في بداية الطبقات ، ولم يُعرف عنه أنه صنف في الانساب أو الطبقات أو التاريخ ، لكنه عرف بأهتمامه بالحديث ، وقد أشار اليه خليفة مرتين خلال الطبقات ونقل عنه في الاولى أسماء بعض من فقد من العلماء في ليلة دجيل وفي الثانية قدوم عبدالله بن عمر على ابي موسى الاشعري بالبصرة ، وأرجح أن ما نقله خليفة عنه في الطبقات لا يتعلق بالانساب وانما في بعض أخبار رواة الحديث أو سني وفياتهم ومواضعها أو تنقلهم بين الامصار وهي معلومات يهتم بها المحدثون عادة لصلتها الوثيقة بنقد الاسناد والتوثق من صحة الاحاديث .

ان عدم استعمال خليفة للاسناد في الطبقات الا نادرا يجعل من المتعذر القطع بطبيعة مادة كل شيخ من الشيوخ الذين اعتمدهم وأورد أسماءهم في قائمة مصادره .

حاتم بن مسلم :

هو حاتم بن أبي صغيرة ، واسم أبيه مسلم أبو يونس القشيري وقيل الباهلي مولاهم البصري ، محدث ثقة وَثّقَهُ ابن معين وأبو حاتم والنسائي والعجلي وابن سعد وابن حبان[٤٩] .

ذكره خليفة في قائمة مصادر كتابه (الطبقات) وصرح بنقله عنه خلال الطبقات بلفظ « حدثني حاتم » فهو من شيوخه المباشرين ، وقد أسند اليه حديثا ينسب فيه النبيُّ صلى الله عليه نفسَهُ ، ولكن لا يمكن تقدير قيمة ما نقله خليفة عنه لتأليفه بين مواد مصادره العديدة ، والراجح أن اعتماد خليفة عليه هو في ما كتبه عن رحلات الرواة وسني وفياتهم ومواضعها مما يهتم به أهل الحديث .

---

(٤٨) العسقلاني : تهذيب ١/٣٧٠ ـ ٣٧١ .
(٤٩) المصدر السابق ٢/١٣٠ .

محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) :

لم يذكر خليفة الواقدي ضمن مصادره التي قدمها في بداية الطبقات ، لكنه صرح بنقله عنه في تسع مواضع من الطبقات حيث نقل عنه ما خالف به غيره فنسبه اليه صراحة[٥٠] • كما اعتمده في مواضع أخرى فنقل عنه ولم يقرنه بغيره[٥١] • وسائر هذه النصوص تتعلق بسني وفيات بعض الصحابة ومن بعدهم أو بمحل سكناهم ، وللواقدي عناية كبيرة بذلك اذ كان أول من صنف كتابا في الطبقات حيث اعتمد عليه كاتبه محمد بن سعد فنقل عنه كثيرا في (الطبقات الكبرى) ، ولم يصرح خليفة في سائر المواضع بأخذه عن الواقدي مباشرة بل استعمل لفظ « قال الواقدي » على أن خليفة صرح بنقله عن الواقدي مباشرة في (التاريخ) في رواية واحدة نقلها عنه هناك[٥٢] •

نسابو القبائـــل :

جمع خليفة بن خياط قسما من معلوماته عن الانساب من مصادر أولية اذ أخذ عن نسابي القبائل الذين كانوا يعنون بانساب قبائلهم خاصة ، من ذلك قوله بعد ذكره نسب بعض بني هذيل « حدثني بهذا النسب أبو الوازع الهذلي وغيره من هذيل وغيرهم »[٥٣]، وكذلك اعتماده على محمد بن سواء السدوسي في أنساب بعض بني سدوس[٥٤] ، وعلى ابي حفص المدني السلمي في أنساب بعض بني سليم[٥٥] • وعلى مسلم بن الصحار في أنساب

---

(٥٠) خليفة : الطبقات/٢٦أ ، ٢٧ب ، ٧٦ب ، ٨٥ب •
(٥١) المصدر السابق/٨٦أ ، ٨٧أ ، ٩١أ •
(٥٢) خليفة : التاريخ ص ١٠٣ •
(٥٣) خليفة : الطبقات/١١ب •
(٥٤) المصدر السابق/١٧ب • ومحمد بن سواء هذا هو السدوسي العنبري أبو الخطاب البصري المكفوف من المحدثين الثقات بالبصرة ، وهو شيخ خليفة بن خياط ، أنظر العسقلاني : تهذيب ٢٠٨/٩ •
(٥٥) خليفة : الطبقات/١٥أ •

بعض بني حنيفة[٥٦] . واعتمد على أبي ايوب اليمامي عن الصحابة الرواة الذين نزلوا اليمامة[٥٧] . كذلك اعتمد على نسابة القبائل في أنساب بعض المزنيين[٥٨] وبني القارة[٥٩] وبني أسيد[٦٠] وبني مخزوم[٦١] وبني ليث[٦٢] .

ويسأل خليفة عن الرجل أقرباءه وابناءه وينسب أقوالهم اليهم حين يذكرها[٦٣] ، ولا يكتفي باقوالهم بل يسأل غيرهم أيضا عن أنسابهم اذ قد تمنع الروابط والصلات بين ابناء القبيلة الواحدة من ذكر أمور تمس كرامة القبيلة أو أحد افرادها . ومن ذلك تتبين أن خليفة بذل جهدا في جمع مادته من هذه المصادر الاولية الشفوية اضافة الى تأليفه بين مواد النسابين الكبار الذين ألفوا في الانساب .

مصـــــادر أخرى :

وقد ذكر خليفة في أسانيده القليلة التي ساقها خلال الطبقات أسماء شيوخ آخرين أخذ عنهم حديثا أو رواية مفردة وهم معاذ بن معاذ[٦٤] . وأبو محمد العبدي[٦٥] وأبو أحمد[٦٦] وأبو أمية عمرو بن المنخل السدوسي[٦٧] وبشر بن المفضل[٦٨] وزياد بن الربيع اليحمدي[٦٩]

---

(٥٦) خليفة : الطبقات/١٨أ .
(٥٧) المصدر السابق/١٨أ .
(٥٨) المصدر السابق/١١ب .
(٥٩) المصدر السابق/١٠ب .
(٦٠) المصدر السابق/١٣ب .
(٦١) المصدر السابق/٨٠أ .
(٦٢) المصدر السابق/٩ب .
(٦٣) المصدر السابق/١٤أ ، ٩٤أ .
(٦٤) المصدر السابق/٣٨ب .
(٦٥) المصدر السابق/٢أ .
(٦٦) المصدر السابق/٤٥أ ، ٩٧أ .
(٦٧) المصدر السابق/١٢ب .
(٦٨) المصدر السابق/٥١ب .
(٦٩) المصدر السابق/٣٣أ .

وسليمان بن حرب[٧٠] وعلي بن سعيد[٧١] وسائر من ذكرتهم هم من المحدثين المعروفين بالبصرة الا أبا محمد العبدي وأبا أحمد فلم أستطع تمييزهما ومعرفتهما •

كذلك نقل مرةً عن الاصمعي بلفظ « قال الأصمعي » ، وذلك في نسب أبي الهيثم بن التيهان حيث اعتمد فيه الاصمعي على قوم أبي الهيثم[٧٢] ، وقد لقي خليفة الاصمعي وأخذ عنه مباشرة[٧٣] ، كما نقل مرة أيضا عن الهيثم بن عدي بلفظ « قال الهيثم » وذلك في خبر يتعلق بميمون بن مهران حيث اعتمد الهيثم على عمرو بن ميمون بن مهران في ذلك[٧٤] •

طبيعة مادة الطبقات

يقتصر خليفة في تراجمه على ذكر نسب الرجل لابيه وأمه ، ويرجع بالانساب الى ما قبل الاسلام وبذلك يقدم مادة غزيرة في النسب كانت موضع اعتماد الآخرين[٧٥] ، على أن تأكيده على الانساب انما هو في الصحابة والتابعين ، وكلما تأخرت الطبقة قل ذكر الانساب حتى يتلاشى فى الطبقات المتأخرة ، وتبرز النسبة الى المدن والمهن ، وذلك لارتباط العرب بالمدن بعد أن استقروا فيها ولاختلاطهم بالاعاجم وضياع الانساب ، وفي الطبقات الاولى من أهل الشام تظهر النسبة الى القبيلة والى جانبها النسبة الى المدينة ، ولكن في الطبقات المتأخرة تتلاشى النسبة الى القبيلة ، واضافة الى ذكر خليفة نسب الرجل فانه يذكر كنيته ويحدد المكان الذى عاش فيه سواء بصورة دائمية أو موقتة فيذكر رحلته في الامصار ، وكذلك يقدم خليفة معلومات دقيقة عن خطط البصرة عند تحديده موضع دار الرجل منها ، ولكن ذلك

---

(٧٠) خليفة : الطبقات/١٨أ •
(٧١) المصدر السابق/١٨أ •
(٧٢) المصدر السابق/٢٢أ •
(٧٣) المصدر السابق/٢٢ب •
(٧٤) المصدر السابق/٩٠ب •
(٧٥)و(٧٦) أنظر حواشي كتاب الطبقات لمعرفة من نقل عنه وطبيعة المادة المنقولة فهي اما في النسب او سني الوفيات •

اقتصر على البصرة فلم يذكر عن خطط بقية المدن شيئا سوى موضعين في الكوفة هما المسجد وسوق المراصع .

وكذلك فان المواضع التي ذكرها في البصرة محدودة ومتجاورة وهي : المسجد الجامع ، سكة المربد ، سوق التبانين ، سكة اصطفانوس ، سكة البخارية ، سوق الوزانين ، باب الاصبهاني ، العوقة ، مقبرة بني يشكر ، مقبرة بني هلال ، حضرة بني يشكر ، حضرة الشريد ، قنطرة قرة ، جوبة أوس ، مربعة الاحنف ، السوق .

ويهتم خليفة في تراجمه بذكر سني الوفيات حيث اعتمد عليه فيها الآخرون[٧٦] وأحيانا يذكر من صلى على الرجل حين وفاته ان كان من ذوي المكانة والشرف .

وهو في تراجم الصحابة يذكر للصحابي حديثا يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم مما له أهمية في التعريف بالصحابي حيث أن الرواية مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم احدى وسائل معرفة الصحابي وتمييزه[٧٧] .

ويذكر أيضا اشتراك الرجل في الغزوات والفتوح مما له اهمية اجتماعية ، وكذلك الوظائف الادارية التي شغلها بعض المترجمين وقد اقتصر على ذكر وظائف الولاية والقضاء . وقلما يسمّي الشيوخ الذين أخذ عنهم صاحب الترجمة وكذلك نادرا ما يسمى التلاميذ الذين رووا عنه ، ولا يذكر تفاصيل عن حياة الرجال واحوالهم وصفاتهم الجسمية والخلقية والاحداث الهامة التي وقعت لهم كما يفعل ابن سعد .

كذلك لا يستعمل خليفة عبارات الجرح والتعديل في (الطبقات) ، ولم أعثر على أقوال له في نقد الرجال الا في موضع من (تاريخه) فقد وردت عبارة في توثيق عمران بن أبي عاتكة وهي قول خليفة كان « ثقة في الحديث »[٧٨] كما حكى العسقلاني أن البخاري نقل عن خليفة في باب التجارة في البحر توثيق مطر بن طهمان الوراق فقال : وقال خليفة « لا بأس

---

(٧٧) العسقلاني : اصابة ١/٦ .

(٧٨) خليفة : التاريخ/٢٩٦ (رقم المخطوط) .

بـه »[٧٩] ولم اجد ذلك في صحيح البخاري[٨٠] •

وقد اهتم خليفة بذكر الموالي الذين اشتغلوا برواية الحديث ، وذلك في أجيال التابعين وتابعيهم ومن تلاهم حيث نشط الموالي في الرواية خاصة بمكة كما تدل على ذلك التراجم التي ذكرها خليفة عن رواة الحديث من أهل مكة •

أسس تنظيم طبقات خليفة

اتبع خليفة بن خياط في تنظيم مادة كتابه (الطبقات) الاسس الثلاثة التالية :

١ ـ التنظيم على النسب •

٢ ـ التنظيم على الطبقات •

٣ ـ التنظيم على المدن •

وقد اتبعت كتب علم الرجال الاخرى هذه الاسس الثلاثة مجتمعة أو منفردة في تنظيم مادتها ، تستوي في ذلك الكتب التي ألفت في جيل خليفة أم بعده كما اتبع بعضها الآخر الترتيب على حروف المعجم ، وقد اقتصر بعض المصنفين على واحد من هذه الاسس فنظم كتابه بموجبه ، ويجمع بعضهم الآخر بين أساسين أو أكثر فيرتب مادته بموجبها •

١ ـ التنظيم على النسب :

كان للانساب أهمية كبيرة عند العرب في الجاهلية فاهتموا بحفظها وكان شعرهم الذي يكون الشطر الاكبر من أدبهم يحتوي على ثروة من علم النسب[٨١] • ولا شك أن حياة البداوة التي جعلت من القبيلة اكبر وحدة اجتماعية وسياسية في حياتهم لها دخل كبير في اهتمامهم بالانساب اذ لابد لافراد القبيلة من معرفة مفاخر آبائهم وأجدادهم وأصالة أنسابهم ،

---

(٧٩) العسقلاني : تهذيب ١٠/١٦٨ •
(٨٠) أنظر صحيح البخاري ـ كتاب البيوع : باب التجارة في البحر •
(٨١) أنظر عن احتواء الشعر على الانساب :
Dentan, The Idea of History in the ancient Near East, P. 246 - 249 .

كما لا بد لهم من معرفة مثالب القبائل الأخرى فبذلك يوفرون مادة لأهمّ أغراض شعرهم : الفخر والهجاء .

وقد إستمر الاهتمام بالانساب بعد ظهورالاسلام وانتشاره وقيام دولته ، فلم يمنع الاسلام الاهتمام بالانساب وان كان قد قاوم العصبية القبلية وكل عصبية جاهلية ذلك لان العصبية شيء ومعرفة الانساب شيء آخر ، فقد حث القرآن الكريم الناس على التعارف ، ولا يكون التعارف دون معرفة الانساب[٨٢] .

وقد نسب النبي (ص) نفسه ، وحض على تعلم الانساب ، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم »[٨٣] .

وكان الرسول (ص) يعرف أنساب قبائل العرب وربما نسب بعض اصحابه ، « قال عمرو بن مرة الجهني كنت عند رسول الله صلى الله عليه فقال : من كان من معد فليقم فقمت فقال لي أجلس فعل ذلك ثلاثا . قلت يا رسول الله ممن نحن ؟ قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمت بن سبأ »[٨٤] . كما نسب أيضا سعد حين سأله « من أنا يا رسول الله ؟ قال أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، من قال غير ذلك فعليه لعنة الله »[٨٥] .

وكان أبو بكر الصديق (رض) أعلم قريش بأنسابها شهد له النبي (ص) بذلك[٨٦] .

وورد عن عمر بن الخطاب (رض) قوله « تعلموا من الانساب ما

---

(٨٢) قوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » ـ الحجرات آية ١٣ ـ .
(٨٣) الحاكم : معرفة علوم الحديث/١٦٩ وأنظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب/٣ .
(٨٤) خليفة : الطبقات/٣٢أ .
(٨٥) الحاكم : معرفة علوم الحديث/١٦٩ .
(٨٦) المصدر السابق/١٦٩ .

تصلون به أرحامكم وتعرفون به ما يحل لكل مما حرم عليكم من النساء ، ثم انتهوا »[87] ٠

وقد حدث في حياته (صلعم) أن اجتمع بعض الصحابة على رجل يحدث بالانساب في المسجد فيذكر ابن عباس (رض) أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا جماعة فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل علامة ٠ قال النبي صلى الله عليه وسلم وما العلامة ؟ قالوا : رجل عالم بأيام الناس وعالم بالعربية وعالم بالاشعار وعالم بأنساب العرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **هذا علم لا يضر أهله**[88] ٠ وباسناد آخر **عن ابي هريرة** انه قال « **هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر** »[89] وهكذا لم ينههم النبي صلى الله عليه وسلم عن الاجتماع على تعلم الانساب والاخبار والاشعار ، وقد حدث الكلام عنها في مسجده بالذات ، وأما قوله هذا علم لا ينفع في رواية أبي هريرة (رض) فلعله أراد الاشعار والاخبار لان نفع علم الانساب ظاهر ، وقد حض (صلعم) على تعلمه[90] ٠ اذ أن قسما من احكام الشرع يحتاج تطبيقها الى معرفة الانساب ، ولذلك كانت معرفة بعض الانساب فرضا على المسلمين كمعرفة نسب النبي (صلعم) ومعرفة أن الخلافة لا تجوز الا في قريش فلو جهلت الانساب لامكن ادعاء الخلافة لمن لا تحل له ، وكمعرفة الانسان أباه وأمه وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمة لما يترتب على ذلك من أحكام الزواج والمواريث[91] ٠

لقد رتب ديوان الجند الذى أنشأه عمر بن الخطاب (رض) على القبائل ، وقد راعى عمر القرابة من النبي (صلعم) في تسلسل القبائل التي سجلها فقدم بني هاشم على غيرهم من العشائر القرشية ، وقدم قريش على

---

(٨٧) السمعاني : أنساب ١/١١ وقوله « ثم انتهوا » أى عن التفاخر المؤدي الى العصبية ٠

(٨٨)و(٨٩) المصدر السابق ١/٩ ٠

(٩٠) يرى ابن حزم أن حديث « هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر » موضوع لا تصح نسبته الى النبي (صلعم) أنظر جمهرة أنساب العرب/٣-٤ ٠

(٩١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب/٢ ٠

غيرها من القبائل العربية[٩٢] ، وقد أصبح هذا التسلسل في ترتيب العشائر أساسا اتبعته كتب النسب التي كتبت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فما بعد •

ويمكن أن نعتبر ديوان الجند أول تقييد شامل للانساب وكانت الحاجات العملية للدولة هي التي أدت الى ظهوره •

لقد أعطت السابقة في الاسلام والمشاركة في الغزوات الاولى مع النبي (ص) أصحابها مكانة مرموقة بين المسلمين ، وهذا ما حدث للمهاجرين الاولين والبدريين والاحديين وأهل بيعة العقبة ، وقد امتدت آثار ذلك الى أبنائهم وأحفادهم فاهتم هؤلاء بحفظ أنسابهم والتعريف بها لما في ذلك من قيمة اجتماعية ، وينبغي أن لا ننسى أن أهل السابقة في الجهاد تمتعوا بامتيازات اقتصادية أيضاً زمن عمر بن الخطاب[٩٣] •

وقد ظل التماسك القبلي قويا عندما استقر العرب في الامصار المفتوحة فكانت خطط الامصار كالبصرة والكوفة قائمة على أساس قبلي حيث سكنت كل عشيرة في موضع خاص بها[٩٤] •

وكانت القبيلة هي الوحدة العسكرية في ميادين القتال ، كما كانت اساسا للتنظيم الاجتماعي والاداري في الامصار[٩٥] •

وهذه العوامل جعلت معرفة الانساب ضرورة دينية واجتماعية وعسكرية وادارية فاستمر الاهتمام بها حتى برز في ظل الدولة الاسلامية عدد من كبار النسابين الذين كانوا يعتمدون على ذاكرتهم قبل بدء تدوين الانساب منهم من جيل الصحابة أبو جهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي فهو أحد أربعة كانت قريش تأخذ منهم علم النسب[٩٦] ، وقد استمر اهتمامه

---

(٩٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٨٢ ـ ٢٩٦ •
والطبري : تاريخ الرسل والملوك ١/٢٧٤٩ ـ ٢٧٥٠ •
(٩٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٩٦ •
(٩٤) أنظر أحمد كمال زكي : الحياة الادبية في البصرة/٢٧ ـ ٢٩ •
(٩٥) العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة/٣٨ ، ٤٠ •
(٩٦) ابن عبدالبر : الاستيعاب ٤/١٦٢٣ •

بالانساب بعد استلامه ، وجبير بن مطعم بن عدي الذى كان من أعلم الناس بالانساب[٩٧] ، ودغفل بن حنظلة السدوسي الذى اختاره معاوية بن أبي سفيان لتعليم ابنه يزيد علم الانساب[٩٨] وعبيد بن شرية الذي اشتهر بمعرفة أنساب وأخبار اليمن وصحار العبدي والشرقي بن القطامي وغيرهم[٩٩] وقد استمر الاهتمام بالانساب خلال القرنين الاول والثاني الهجريين ولكن التأليف في الانساب بدأ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، ولعل أول من ألف في الانساب بعد محاولة الزهري التي لم تتم هو أبو اليقظان النسابة (ت١٩٠هـ) ومعاصره مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ) وهشام بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ولا غرابة في أن يكون هؤلاء الثلاثة عراقيين فقد تركزت في العراق فعاليات النسابين خلال القرنين الاولين للهجرة في الكوفة والبصرة ، وهما مركزان نشيطان للقبائل العربية[١٠٠] .

ولم يقتصر الاهتمام بالانساب على النسابين الذين كانت الانساب مادتهم الرئيسية فقد اهتم المحدثون أيضا منذ القرون الاولى بالانساب فلا نجد محدثا كبيرا الا وله علم بالنسب وممن عرف بذلك سعيد بن المسيب أحد كبار التابعين ، وقد تابعه في الاهتمام بالانساب ابنه محمد بن سعيد[١٠١] وتلميذه محمد بن شهاب الزهري الذى يقول « ما خططت سوداء في بيضاء الا نسب قومي »[١٠٢] ، وقتادة بن دعامة السدوسي الذى قال فيه أبو عمرو بن العلاء « أنه كان من أنسب الناس »[١٠٣] ، والقاسم بن ربيعة وكان

---

(٩٧) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب/٥ .
(٩٨) ابن عبدالبر : الاستيعاب ١٦٢٣/٤ وقال « يقال أن له صحبة ورواية ولا يصح عندي سماعه من النبي (ص) » .
(٩٩) ابن النديم : الفهرست/١٣٧ ـ ١٣٨ .
(١٠٠) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب/٣٤ .
(١٠١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب/٥ .
(١٠٢) الرامهرمزي : المحدث الفاصل/٥٢ .
(١٠٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٢٣/١ .

الحسن البصري اذا سئل عن النسب قال : « عليكم بالقاسم بن ربيعة » (١٠٤) .

وترجع عناية المحدثين بالانساب الى أهميتها في معرفة رواة الحديث ولذلك فقد استمر الاهتمام بالانساب في أوساط المحدثين خلال القرن الثاني الهجري وعندما ظهرت المصنفات في رجال الحديث احتوت مادة غزيرة في النسب . وليست مادة النسب هذه دخيلة على علم الرجال فالاصل في كتب الرجال التعريف بالرواة بذكر أنساب آبائهم وأمهاتهم ، وقد انتقد ابن الاثير كتابي ابي عبدالله بن منده وأبي نعيم الاصبهانيين في معرفة الصحابة لانهما اكثرا ذكر الاحاديث والكلام عليها وبيان عللها ولم يطيلا نسب الشخص وأخباره وأحواله مما يعرّف به ، وامتدح من ناحية كتاب (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) لابن عبدالبر القرطبي لانه استقصى ذكر الانساب وأحوال الشخص ومناقبه وكل ما يعرف به حتى أنه يقول هو ابن أخي فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية ، وكان هذا هو المطلوب من التعريف أما ذكر الاحاديث وعللها وطرقها فهو بكتب الحديث أشبه (١٠٥) .

وهكذا أوضح ابن الاثير أن النسب من المـــادة الاساسية في كتب الرجال ، فلا عجب اذا وجدنا بعض المصنفين في علم الرجال يرتبون مادتهم على النسب .

والترتيب على النسب يعني أن المصنف يجمع الرواة الذين هم من عشيرة أو قبيلة واحدة في موضع واحد يقدم لهم مثلا بقوله : ومن قريش ثم من بني هاشم فلان وفلان .. ويذكرهم ، ثم يتبع نسقا معينا في عرض القبائل والعشائر بأن يبدأ بمضر ثم قحطان ، ولا يقدم قحطان على مضر ، كذلك يبدأ من مضر بقريش ثم بقية قبائل مضر وهذا التقديم قائم على اساس القرابة من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق القول أن أول من اتبع هذا التسلسل عند سرد الانساب عمر بن الخطاب في تدوين الديوان، ولما ظهرت كتب الانساب تقيدت بهذا التسلسل ، ثم امتد هذا التنظيم الى

---

(١٠٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٢/٧ .

(١٠٥) ابن الاثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/١ .

كتب الرجال التي نظمت مادتها على النسب ، بل امتد أيضا الى بعض المسانيد الحديثية التي رتبت الشيوخ على القبائل[١٠٦] • ومن هذا يتضح أن تنظيم القبائل بهذا الشكل اسلامي بحت ولا يرجع الى أصول جاهلية •

ان أقدم من أخذ بالترتيب على النسب من المصنفين في الرجال هما خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في « الطبقات » ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) في الطبقات الكبرى •

فاما خليفة فقد اكثر التزاما بالترتيب على النسب فقد جعل النسب هو الاساس الوحيد في ترتيب الصحابة في المدينة ، ولم يعتبر السابقة في الاسلام وتقدم سنة الوفاة ، ولا التفاضل بين الصحابة ، وبهذا استطاع أن يعرض الرواة من الصحابة على أساس العشائر دون اخلال بهذا الاساس سواء في ما كتبه عن الصحابة في المدينة أو ما كتبه عن الصحابة في الامصار كالكوفة والبصرة ، وكذلك فعل عند كلامه عن الصحابة الذين نزلوا بلاد الشام • ويستمر التقسيم على النسب ظاهرا في طبقات خليفة عند كلامه عن التابعين في الكوفة والبصرة والمدينة ، ولا يتجاوز هذا الاساس الا في موضع واحد فقط عند ذكره للطبقة الثانية من التابعين في المدينة ، فقد قدم أبناء المهاجرين على غيرهم معتبرا السابقة في الاسلام ، ولكنه عاد بعد ذلك الى الترتيب النسبي •

وقد حافظ خليفة بن خياط على النسق الذى اتبعه في تسلسل القبائل من بداية كتابه حتى يتلاشى عنده الترتيب على النسب بعد التابعين ، مما يؤكد أن تسلسل القبائل عنده لم يكن مجرد ترتيب عرضي بل هو أمر مقصود قائم على فكرة القرابة من النبي (صلعم) وهو بذلك يتابع كتب الانساب •

ان الترتيب على النسب يختفي بعد طبقة التابعين ، ولا يعود الى الظهور الا في القسم الاخير الذى خصصه للنساء •

أما محمد بن سعد فقد مزج بين الترتيب حسب السابقة في الاسلام

(١٠٦) السيوطي : تدريب الراوي شرح تقريب النواوي/٣٥٤ ـ ٣٥٥ •

وحسب النسب في القسم الذى خصصه الصحابة في المدينة(١٠٧) ، حيث اعتبر السابقة في الاسلام الاساس الاول ، فوضع البدريين طبقة اولى ، وجعل من له اسلام قديم وهاجر الى الحبشة أو شهد أحدا ثم من أسلم قبل فتح مكة طبقة ثانية من الصحابة ، ولم يسم الطبقة الثالثة من الصحابة وهم من أسلم بعد الفتح ، غير أنه رتب الرجال ضمن الطبقة الواحدة على اساس النسب ، فهو يبدأ في طبقة البدريين مثلا ببني هاشم ثم بقية بطون قريش ثم مضر فالاوس فالخزرج .. ان اعتبار ابن سعد السابقة في الاسلام جعله يقسم الصحابة الى ثلاث طبقات(١٠٨) . ومن ثم فلم يعد بامكانه المحافظة على الترتيب النسبي بصورة دقيقة كما فعل خليفة بن خياط الذى اعتبر الصحابة طبقة واحدة ، فترجمة العباس بن عبدالمطلب مثلا تأتي عند خليفة بن خياط بعد ترجمة النبي (صلعم) مباشرة في حين تتقدمها عند ابن سعد تراجم الكثيرين من الذين شهدوا بدرا ولا تأتي ترجمة العباس عنده الا في الطبقة الثانية من الصحابة .

وبينما يمتد الترتيب على النسب في طبقات خليفة الى الصحابة في الامصار والى طبقة التابعين فان ابن سعد يقتصر في استعمال الترتيب النسبي على الصحابة والصحابيات(١٠٩) في المدينة .

ان خليفة وابن سعد اهتما بالترتيب على النسب في القسم الذى خصصاه

---

(١٠٧) وهما المجلدان الثالث والرابع من طبعة بيروت .

(١٠٨) ذهب البعض الى أنه جعلهم خمس طبقات (العراقي : فتح المغيث (٤/٥٣) . ولعل ذلك باعتبار البدريين طبقة أولى . ومن له اسلام قديم او هاجر الى الحبشة طبقة ثانية ، ومن شهد أحدا طبقة ثالثة ، ومن أسلم قبل الفتح طبقة رابعة ، ومن أسلم بعد الفتح طبقة خامسة ، لكن الفصل بين من له اسلام قديم او هاجر الى الحبشة وبين من شهد أحدا ومن اسلم قبل الفتح وجعلهم ثلاث طبقات غير واضح عند ابن سعد .

(١٠٩) خصص ابن سعد المجلد الثامن للنساء الصحابيات ، ولا يظهر فيه الترتيب على النسب واضحا ، ولكن ملاحظة تعاقب التراجم يدل على انه جمع النسوة من العشيرة الواحدة في موضع واحد متبعا النسق التقليدى في تسلسل العشائر .

للصحابة من كتابيهما في الطبقات ، في حين تقل مراعاتهم لذلك في بقية اقسام كتابيهما ، وقد ألفت كتب كثيرة في معرفة الصحابة منذ أوائل القرن الثالث الهجري ، ولكن لم يصلنا منها الا القليل ، وأقدم ما وصلنا كتاب (تسمية أولاد العشرة) لعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) ورغم أنه لايرتب كتابه على النسب بل اعتبر في الترتيب السابقة في الاسلام والفضل الا أن أثر الترتيب النسبي يظهر في ذكر أبناء الصحابة وأحفادهم بصورة مجتمعة ٠

واما كتاب (معرفة الصحابة) لابي عبدالله بن مندة (ت ٣٩٥هـ) فهو مرتب على حروف المعجم ، ولم يتسن لي الحصول على كتاب (معرفة الصحابة) لابي نعيم (ت ٤٣٠هـ) ٠ وأما كتاب (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) لابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ) فهو مرتب على حروف المعجم ٠

ومن الكتب المتأخرة التي اعتمدت على كتب المتقدمين وحفظت لنا بعض مادتها كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الاثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) وقد جمع فيه كتب ابن مندة وأبي نعيم وابن عبدالبر ونقل عن أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى الاصفهاني (ت ٥١٨هـ) الذى استدرك على ابن مندة ، وعن أبي علي الغساني الذى استدرك على ابن عبدالبر ، كما نقل عن آخرين أيضا لم يذكرهم في قائمة مصادره منهم جعفر بن محمد المستغفري (٤٣٢هـ) ولكن ابن الاثير لم يذكر شيئا عن ترتيب هذه المؤلفات ، أما كتاب ابن الاثير نفسه فقد رتبه على حروف المعجم٠ وكذلك رتب العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) كتاب (الاصابة في تمييز الصحابة) على حروف المعجم أيضا ٠

وهكذا فان سائر ما وصلنا من كتب معرفة الصحابة مرتب على حروف المعجم الا كتاب تسمية أولاد العشرة لابن المديني ، كما يشير السخاوي الى أن كتاب أبي أحمد العسكري (ت ٣٨٢هـ) في معرفة الصحابة مرتب على القبائل(١١٠) ٠

وخلاصة القول أنه لا يوجد ما يشير الى استمرار الترتيب على النسب

---

(١١٠) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ/٥٤٢ ٠

بصورته الدقيقة كما استعمله ابن سعد وخليفة بن خياط ، ويمكن القول أن معظم المصنفين في معرفة الصحابة تركوا الترتيب على النسب لانه يجعل تناول الكتاب والافادة منه من الصعوبة بمكان خاصة وأنهم لم يكونوا يستعملون فهارس مفصلة كالتي نجدها في المصادر المطبوعة في وقتنا الحاضر ، ولذلك فقد لجأوا الى الترتيب على حروف المعجم •

وأخيرا فليس من الغريب أن لا نجد أثرا للترتيب على النسب في كتب الرجال الاخرى فان الترتيب على النسب كما تمثل بدقة عند ابن سعد وخليفة انما يتعلق بالقسم الخاص بالصحابة وأنساب الصحابة معلومة ، فاذا تخلت كتب معرفة الصحابة عن الترتيب على النسب فكيف نتوقع استمرار الترتيب على النسب في كتب الرجال الاخرى التي تشتمل على كثيرين من الموالي أو العرب الذين لم تضبط أنسابهم كما ضبطت أنساب الصحابة •

٢ ـ التنظيم على الطبقات :

لم يستعمل القرآن الكريم لفظ (الطبقة) ولكنه استعمل (طبق) و (طِباق) قال تعالى «لتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَقٍ»[١١١]• وقال«الذي خلق سبعَ سموات طِباقاً »[١١٢] • وتذكر معاجم اللغة كلمة « الطبقة » في مادة « طبق » • وطَبَقٌ من الناس أي جماعة ، والمطابقة والموافقة ، وطبقات الناس مراتبهم »[١١٣] قال ابن الاعرابي « الطبق الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم »[١١٤] وقد حاول اللغويون المتقدمون تحديد الطبقة زمنيا فذكر الهجري عن ابن عباس : الطبقة عشرون سنة[١١٥] • ولكننا اذا قلنا مثل هذا التحديد فان من الصعوبة أن نسلم بظهور فكرةالطبقات بهذا الوضوح

---

(١١١) الانشقاق آية ١٩ •
(١١٢) الملك آية ٣ ، نوح آية ١٤ •
(١١٣) الجوهري : الصحاح ١٥١٢/٤ •
(١١٤) ابن منظور : لسان العرب ٧٩/١٢ •
(١١٥) المصدر السابق ٨٠/١٢ وأنظر الزبيدي : تاج العروس ٤١٤/٦ •

والدقة في جيل ابن عباس • ولا يمكن في هذا المجال أن نعول على حديث « أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما ، فاما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وايمان ، وأما الطبقة الثانية ما بين الاربعين الى الثمانين فأهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم الى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل ثم الذين يلونهم الى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ، ثم الهرج الهرج النجا النجا »(١١٦) • فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات(١١٧) •

وقد أطلقت الطبقة على القرن مجازا ، اذا اقتصرنا على تحديد معين للقرن وهو الجيل(١١٨) •

ورغم هذه المحاولات في تحديد الطبقة زمنيا فان استعمال الطبقة كوحدة زمنية ثابتة لم يظهر الا في فترة متأخرة جدا وذلك حينما استعملها الذهبي وجعلها تساوي عشر سنين(١١٩) •

ويرى روزنثال أن تقسيم الطبقات اسلامي أصيل وأنه أقدم تقسيم وجد في التفكير التاريخي الاسلامي وأنه نتيجة طبيعية لفكرة صحابة الرسول فالتابعون••الخ ولاعلاقة له بمؤثرات خارجية(١٢٠)•ومما يؤيد هذا الرأى حديث أورده البخاري ونصه « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »(١٢١) ، فخير القرون الصحابة ثم التابعون ثم أتباع التابعين(١٢٢) •

أن أبسط أشكال التقسيم على الطبقات هو استعمالها بمعنى جيل ، وقد استعمل بعض المصنفين كلمة قرن بدل طبقة ، فعل ذلك بحشل في تاريخ

---

(١١٦) ابن ماجة : السنن ٢/١٣٤٩ •
(١١٧) المصدر السابق : السنن ٢/١٣٤٩ انظر الحاشية منها •
(١١٨) ابن منظور : لسان العرب ١٢/٨٠ وأنظر الزبيدي : تاج العروس ٦/٤١٤ •
(١١٩) الذهبي في تاريخ الاسلام •
(١٢٠) روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين/١٣٣ ـ ١٣٤ •
(١٢١) البخاري : الصحيح ٥/٢ ـ ٣ •
(١٢٢) العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٦/١٧٠ •

واسط الذي ألفه سنة ٢٨٨هـ رغم أن استعمال الطبقات كان معروفا في عصره(١٢٣) .

ان استعمال الطبقة للدلالة على الجيل يتمثل بصورة واضحة في مصنفات ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) ففي كتابيه (الثقات) و (مشاهير علماء الامصار) قسم الرواة الى ثلاث طبقات هي الصحابة والتابعون وأتباع التابعين . وكذلك فعل الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٤هـ) في تاريخ نيسابور حيث قسم الرواة الى صحابة ، تابعين ، أتباع التابعين . فلما انتهى من ذكر أتباع التابعين قال « ثم الاتباع وهو القرن الرابع بعد النبوة والثالث بعد الصحابة »(١٢٤) ، وهكذا استعمل الحاكم الطبقة والقرن والجيل كمترادفات .

ولكن أقدم استعمال للطبقة لم يكن بمعنى الجيل كما لم يكن بسيطا كما استعمله ابن حبان فيما بعد وان كان التقسيم الى صحابة . تابعين . أتباع التابعين واضحا تمام الوضوح في أقدم ما وصلنا من كتب الطبقات ولكنه بمثابة اطار يحتوي على تقسيمات أصغر ضمنه . فقد قسم الصحابة وحدهم الى عدة طبقات بلغت أحيانا اثنتي عشر طبقة بالنظر الى السبق في الاسلام والهجرة وشهود المشاهد مع رسول الله (ص)(١٢٥) وقد قسمهم البعض الى اكثر من اثنتي عشر طبقة(١٢٦) . وكذلك قسم كل من التابعين وأتباع التابعين الى عدة طبقات . وقد تباين عدد طبقات كل من الصحابة والتابعين والاتباع في كتب الرجال لان ذلك يتصل بذوق المصنف واجتهاده ، وأقدم ما وصلنا من كتب الطبقات كتاب (الطبقات) لخليفة بن خياط وكتاب (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد وكتاب (الطبقات) لمسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) وتسمية هذه الكتب بالطبقات يدل على تأصل نظام الطبقة في هذه الفترة المبكرة .

---

(١٢٣) روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين/٢٢٩ .
(١٢٤) تاريخ نيشابور/١٧ .
(١٢٥) و (١٢٦) الحاكم : معرفة علوم الحديث/٢٢ ـ ٢٥ .

- أما خليفة بن خياط فقد اعتبر الصحابة كلهم طبقة واحدة اذ لم يعتبر شرطا غير كونهم صحابة فلم يأبه الى السابقة في الاسلام أو الفضل كما يفعل معاصره محمد بن سعد .

اما التابعون والاتباع فقد قسمهم الى عدة طبقات يتباين عددها بين المدن ولم يميز بين طبقات التابعين وطبقات الاتباع ومن بعدهم بل ذكر طبقات الرواة بتعاقب حتى عصره .

واما محمد بن سعد فقد جعل الصحابة ثلاث طبقات[١٢٧] ، ويرى البعض أنه جعلهم خمس طبقات[١٢٨] وقد اعتبر في تقسيمهم السابقة في الاسلام فقد جعل البدريين طبقة اولى والمسلمون الاوائل ممن شهد أحداً وما بعدها من المشاهد طبقة ثانية وألحق بهم من أسلم قبل الفتح[١٢٩] ، ولم يذكر ابن سعد من أسلم بعد الفتح حيث يكونون حسب ترتيبه الطبقة الثالثة . أما التابعون فتختلف طبقاتهم بين المدن ولكنه بصورة عامة جعلهم ثلاث طبقات وربما بلغ بهم أربع طبقات[١٣٠] ، ولكن التمييز بين التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم في طبقات ابن سعد عسير الا على من له معرفة واسعة بالرجال ، لانه سرد طبقاتهم جميعا بتعاقب ولم يفصل بينهم كما فعل في تمييز الصحابة عن غيرهم[١٣١] .

ويحق هنا أن نتساءل عن مفهوم الطبقة عند خليفة بن خياط ومحمد بن سعد ؟ هل للطبقة عندهما مفهوم زمني معين ؟

ان التمحيص يدل على أن خليفة بن خياط ومحمد بن سعد كليهما لم يعتبرا سني الوفيات أساسا يعتمدانه في التقسيم على الطبقات . فالتداخل كبير بين سني وفيات تراجم الطبقات المتتالية، ففي طبقات خليفة نجد أن وفيات

---

(١٢٧) ابن الصلاح : مقدمة/١٢١ .
(١٢٨) العراقي : فتح المغيث ٤/٥٣ .
(١٢٩) مبدأ اعتبار السابقة في الاسلام والفضل في تقسيم الصحابة اتبعه عمر بن الخطاب (رض) في توزيع العطاء .
(١٣٠) العراقي : فتح المغيث ٤/٥٣ .
(١٣) في الطبقات الكبرى (ليدن) تجد في آخر الطبقة السابعة من أهل المدينة قوله (آخر طبقات التابعين) وهذا خطأ لان فيهم من توفي سنة ٢٢٩هـ ولا أعلم مصدر هذا الوهم .

الطبقة الرابعة من البصريين مثلا تتراوح بين (١١٠ – ١٥٥هـ) بينما وفيات الطبقة الخامسة تتراوح بين (١٢٨ – ١٣٢هـ) كذلك تتراوح وفيات الطبقة السادسة منهم بين (١٣٦–١٥٦هـ) في حين تتراوح وفيات الطبقة السابعة منهم بين (١٤٩ – ١٥٥هـ) وأما في طبقات ابن سعد فتتراوح وفيات الطبقة الاولى من الكوفيين مثلا بين (٦٢ – ١١٥هـ) وتتراوح وفيات الطبقة الثانية منهم (٨٣ – ١١١هـ) وهكذا جعل في الطبقة الاولى من تأخرت وفياتهم عن أهل الطبقة الثانية • فالتقسيم على الطبقات اذا لا يقوم على اعتبار سني الوفيات في هذه الفترة المبكرة فعلى أيٍّ أساس يقوم اذاً ؟

لقد ذكرت أن اساس تقسيم الصحابة الى طبقات عند ابن سعد هو اعتبار السابقة في الاسلام ، أما طبقات التابعين ومن بعدهم فقائم عند خليفة وابن سعد على اعتبار اللقيا بين الصحابة والتابعين ، فكبار التابعين هم الذين رووا عن كبار الصحابة ذوي السابقة والفضل ، وهم الطبقة الاولى من التابعين ، أما التابعون الذين رووا عن صغار الصحابة ولم يلتقوا بكبارهم لعدم لحاقهم بهم فيكونون طبقة ثالثة أو رابعة ، وكذلك فان من روى عن سعيد بن المسيب وغيره من كبار التابعين فانهم يكونون الطبقة الاولى من أتباع التابعين •

ان كتابي خليفة بن خياط ومحمد بن سعد في تراجم المحدثين وقد وضعا لخدمة علم الحديث ومن ثم فقد جاء ترتيب كتابيهما على الطبقات ملائما لهذا الغرض حيث استعملا الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث اللقاء والسن وبعبارة أدق من حيث تقاربهم في السن وفي الشيوخ الذين أخذوا عنهم •

وذكر التقارب في السن هنا لا يتناقض مع قولي ان الطبقات لم تعتبر الوفيات أساسا تقوم عليه اذ من الطبيعي أن من يلقى كبار الصحابة يكون متقدما في السن وتتقدم وفاته في العادة على وفاة من يلقى صغار الصحابة ، ولذلك نجد أن وفيات الطبقات الاولى غالبا ما تتقدم على وفيات الطبقات التالية • ان عدم اعتبار سني الوفيات أساسا للتقسيم على الطبقات هو الذي

جعل الطبقة في فترة النشأة لا تتخذ مفهوم الوحدة الزمنية الثابتة ، فمرة تكون حوالي العشر سنوات ، وأخرى تقارب العشرين سنة ، وثالثة في حدود الجيل وربما تجاوزته •

ان التمييز بين طبقات الصحابة والتابعين ومن بعدهم لها علاقة بنقد اسناد الحديث فهي وسيلة لمعرفة ما في الحديث من ارسال أو انقطاع[١٣٢] أو عضل أو تدليس[١٣٣] • وبمعرفة طبقات الرواة أيضا يمكن التمييز بين الاسماء المتشابهة والمتفقة ، فقد يتفق اسمان في اللفظ فيظن أن احدهما الآخر ، فاذا أردنا التمييز بينهما فينبغي معرفة طبقتيهما ان كانا من طبقتين ، فان كانا من طبقة واحدة فربما أشكل الامر ، وربما عرف ذلك بمن فوقه أو دونه من الرواة ، فربما كان أحد المتفقين في الاسم لا يروي عمن روى عنه الآخر فان اشتركا في الراوي الاعلى وفيمن روى عنهما فالاشكال حينئذ أشد ، وانما يميز ذلك أهل الحفظ والمعرفة[١٣٤] •

وبسبب الجهل بالطبقات غلط غير واحد من المصنفين فربما ظن راويا روايا آخر غيره ، وربما أدخل راوياً في غير طبقة[١٣٥] •

ان فائدة التقسيم على الطبقات تتم لو اتبع المصنفون تقسيماً واحداً ، ولم يتباين عدد الطبقات بين مصنف وآخر • فتباين عدد الطبقات عندهم يجعل النسبة الى الطبقة ليست مطلقة بل تتقيد بطريقة كل مصنف ، فلم يعد بالامكان أن نكتفي بالقول مثلا أن عبدالرحمن بن ابي الزناد في الطبقة السادسة من أهل المدينة فهو كذلك عند ابن سعد فقط أما في طبقات خليفة فهو في الطبقة

(١٣٢) ابن الصلاح : مقدمة/١٢٣ •

(١٣٣) المرسل : هو ما سقط من اسناده اسم الصحابي • (أنظر ابن كثير : الباعث ص ٤٧) •
المنقطع : هو أن يسقط من السند رجل ليس بصحابي • (أنظر الباعث ص ٥٠) •
المعضل : هو ما سقط من اسناده اثنان فصاعدا • (الباعث ص ٥١) •
المدلس : أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه ، أو عمن عاصره ولم يلقه موهما أنه سمعه منه (ابن كثير : الباعث الحثيث ص ٥٣) •

(١٣٤) العراقي : فتح المغيث ٤/١٦١ •

الثامنة . ومن ذلك أيضا أن أنس بن مالك وغيره من صغار الصحابة مع العشرة وغيرهم من أكابر الصحابة من طبقة واحدة اذا نظرنا الى تشابههم في أصل صفة الصحبة كما فعل خليفة بن خياط ومن بعده ابن حبان ، أما اذا نظرنا الى تفاوت الصحابة في سوابقهم ومراتبهم كانوا عدة طبقات كما فعل ابن سعد ومن قلده وعندها لا يكون أنس وغيره من صغار الصحابة من طبقة العشرة بل دونهم بطبقات(١٣٦) . وقد أخذ العسقلاني وهو متأخر جدا (ت ٨٥٢هـ) على نظام الطبقات أنه يوهم أحيانا ، ذلك أن للصحابي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن غيره ، فاذا رأى من لا خبرة له رواية الصحابي عن الصحابي ظن الاول تابعيا فيكشفه في التابعين فلا يجده ، لذلك رأى العسقلاني أن سياق الرواة على اختلاف طبقاتهم مساقا واحدا على الحروف أولى(١٣٧) .

ورغم المآخذ على نظام الطبقات الا أنه كان ملائما لاغراض الحديث التي أبتكر من أجلها ، ومن ثم فان استعماله لم يقتصر على خليفة بن خياط ومحمد بن سعد بل استعمله معاصرون لهم ومتأخرون عنهم ، واستمر التقسيم على الطبقات أساسا تتبعه المصنفات في الرجال حتى القرن الثامن الهجري .

وممن رتب كتابه على الطبقات الامام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) في كتابه (الطبقات) وقد ذكرت المراجع أنه اقتصر على الصحابة والتابعين واكتفى بتجريد الاسماء(١٣٨) ، وأنه قسم التابعين الى ثلاث طبقات(١٣٩) ، الا أن المراجع لم تشر الى طريقته في عرض الصحابة وهل اعتبرهم طبقة واحدة أم اكثر ؟ .

واتبع نظام الطبقات أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني

(١٣٥) العراقي : فتح المغيث ٤/١٦١ .
(١٣٦) ابن الصلاح : مقدمة/١٦٠ - ١٦١ .
(١٣٧) العسقلاني : تهذيب ١/٧ .
(١٣٨) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ/٦٨٤ .
(١٣٩) العراقي : فتح المغيث ٤/١٦١ .

(ت ٣١٧هـ) في كتابه (الطبقات)[١٤٠] الا أن ما بقي منه لا يكفي لتوضيح حدود الطبقة عنده ، الا أنه اعتبر الصحابة طبقة واحدة .

واتبع هذا الترتيب ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) في كتابيه (الثقات) و (مشاهير علماء الامصار) ، وقد اعتبر الصحابة طبقة أولى والتابعين طبقة ثانية والاتباع طبقة ثالثة ولم يتناول من بعدهم .

وكذلك فان قسماً من التواريخ المحلية اتبعت نظام الطبقات أيضا مثل (طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها) لابي الشيخ الانصاري (ت ٣٦٩هـ) حيث قسمهم حتى عصره الى احدى عشرة طبقة .

وكذلك (تاريخ الرقة) لمحمد بن سعيد القشيري (ت٣٣٤هـ) و (تاريخ داريا) لعبد الجبار الخولاني (ت ٣٧٠هـ) ولا يختلف مفهوم الطبقة عند هؤلاء المؤلفين جميعا عما وجدناه عند ابن سعد وخليفة بن خياط .

وقد امتد استعمال نظام الطبقات الى كتب التراجم الاخرى كتراجم القراء[١٤١] والفقهاء[١٤٢] والصوفية[١٤٣] والشعراء[١٤٤] والأباء[١٤٥] والنحاة[١٤٦] والاطباء[١٤٧] مما يدل على تأثير نظام الطبقات وشيوع استعماله في مجالات عديدة في حين أنه لم يبتكر الا لخدمة علم الحديث . وعندما لم يلتزم أبو نعيم الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ) في كتابه (حلية الاولياء) بنظام الطبقات بصورة دقيقة في سائر كتابه بل اكتفى بالتمييز بين الصحابة ومن تلاهم وخلط التابعين ومن بعدهم انتقده ابن الجوزي (ت

---

(١٤٠) ولابي عروبة كتاب (طبقات الجزريين) و (طبقات أهل الرقة) مفقودان .

(١٤١) مثل (طبقات القراء) لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) .

(١٤٢) مثل (طبقات الفقهاء) لابي اسحق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) .

(١٤٣) مثل (طبقات الصوفية) لابي عبدالرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) .

(١٤٤) مثل (طبقات الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) .

(١٤٥) مثل (نزهة الالباء في طبقات الادباء) لابي البركات عبدالرحمن بن محمد بن الانباري (ت ٥٧٧هـ) .

(١٤٦) مثل (طبقات النحويين) لابي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) .

(١٤٧) مثل (طبقات الاطباء والحكماء) لابي داؤد سليمان بن حسان الاندلسي (ت ٣٧٧هـ) .

٥٩٧هـ) فقال « انه خلط في ترتيب القوم من ينبغي أن يؤخر وأخر من ينبغي أن يقدم فعل ذلك في الصحابة وفيمن بعدهم ، فلا هو ذكرهم على ترتيب الفضائل ولا على ترتيب المواليد ولا جمع أهل كل بلد في مكان ، وربما فعل هذا في وقت ثم عاد فخلط خصوصا في أواخر الكتاب فلا يكاد طالب الرجل يهتدى الى موضعه »(١٤٨) • وقد رتب ابن الجوزي كتابه (صفة الصفوة) على الطبقات متبعا طريقة ابن سعد حيث اعتبر السابقة في الاسلام فقسم الصحابة الى خمس طبقات ، ثم ذكر التابعين ومن بعدهم على الطبقات أيضا،ويتداخل التنظيم على الطبقات مع التنظيم على المدن حيث يذكر الطبقات ضمن المدينة الواحدة ، ويذكر أنه فعل ذلك تسهيلا للطلب على الطالب(١٤٩) •

ان الترتيب على الطبقات استمر متبعا في ميدانه الاصيل فرتبت بعض كتب الرجال على الطبقات حتى فترة متأخرة ، فقد رتب عبدالغني المقدسي الجماعيلي (ت ٦٠٠هـ) كتابه (الكمال في معرفة الرجال)(١٥٠) على الطبقات ، ولا ادرى ان كان المزي (ت ٧٤٢هـ) قد حافظ على ترتيب الكمال عندما هذبه أم لا ، ولكن الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتابه (الكاشف عن رجال الكتب الستة)(١٥١) وهو مختصر من تهذيب الكمال للمزي(١٥٢) اتبع الترتيب على حروف المعجم ، كذلك فعل العسقلاني في كتابه (تهذيب التهذيب) الذي هو تهذيب لكتاب (تهذيب الكمال للمزي) •

ان أبرز من اهتم بنظام الطبقات في القرن الثامن الهجري هو الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتبه (تذكرة الحفاظ) و (تاريخ الاسلام) و (المجرد في أسماء رجال كتاب ابن ماجة) • ففي ثالث هذه الكتب نجده

---

(١٤٨) ابن الجوزي : صفة الصفوة ١/٥ •
(١٤٩) المصدر السابق ١/٧ •
(١٥٠) يوجد المجلد الرابع منه فقط مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق (حديث ٣٦٧ رقم ١١٥٨) •
(١٥١) مخطوط في دار الكتب الظاهرية (حديث ٣٢٠) •
وأنظر العسقلاني : تهذيب ١/٧ •
(١٥٢) الذهبي : الكاشف عن رجال الكتب الستة/المقدمة •

يرتب الرجال على الطبقات ويسمى الطبقة باسم أحد الاعلام البارزين فيها فيقول طبقة الاعمش وابن عون ، طبقة الزهري وأيوب ، طبقة ابن المسيب ومسروق ، الا أن هذه الطبقات ليست مرتبة على اساس زمني كما هو شأن كتب الطبقات الاخرى ، بل اكتفى بتجميع من هم من طبقة واحدة ، اما كتابه (تذكرة الحفاظ) فهو يدل عنوانه في تراجم الحفاظ فقط ، وليس كتابا شاملا لرواة الحديث ، وقد قسم الحفاظ حتى عصره الى احدى وعشرين طبقة ، واعتبر في ذلك اللقيا ، وقلما اعتبر سني الوفيات[١٥٣] التي نلاحظ تداخلها بين الطبقات المتتالية ، وقد أشار الذهبي الى ذلك بقوله « ولابد في كل طبقة من مجاذبة الطبقتين ، والا فلو بولغ في تقسيم الطبقات لجاءت كل طبقة ثلاث طبقات وأكثر »[١٥٤] .

ويمكن القول أن الطبقة في (تذكرة الحفاظ) تساوي الجيل في الغالب. أما كتابه (تاريخ الاسلام) فقد رتبه الذهبي على السنين والطبقات معا ، فهو يذكر أحداث كل سنة ثم يترجم لمن توفي فيها ، وربما قدم الوفيات على الاحداث . وقد أشار الذهبي الى نقص المادة التي اعتمدها « ولم يعتن القدماء بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة الى معرفتنا لهم ، فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين ، وجهلت وفيات أئمة من المعروفين ، وأيضا فأن عدة بلدان لم يقع الينا أخبارها اما لكونها لم يؤرخ علماءها أحد من الحفاظ ، أو جمع لها تاريخ ولم يقع الينا »[١٥٥].

وبسبب عدم ضبط القدماء للوفيات لجأ الذهبي الى عقد فصل في الوفيات التي حدثت خلال فترة حكم الخليفة كلها فقد عقد فصلا فيمن توفي في

---

(١٥٣) من ذلك ترجمة زيد بن أبي أنيسة في الطبقة الرابعة مع أنه من طبقة الاوزاعي في الخامسة وعلل الذهبي ذلك بتقدم سنة وفاة زيد (أنظر تذكرة الحفاظ ١/١٤٠) وربما فعل عكس ذلك كتأخيره ترجمة أبي الاحوص الى الطبقة السادسة مع أن مكانه الخامسة وعلل ذلك بصغر سنة (أنظر تذكرة الحفاظ ١/٢٥٠) .

(١٥٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/٢٥٠ .

(١٥٥) الذهبي : تاريخ الاسلام ١/١٧ .

خلافة عمر[١٥٦] ، وفصلا آخر فيمن توفي في خلافة عثمان[١٥٧] ، ولكنه استطاع في معظم السنين أن يذكر سني الوفيات ، وقد استعمل الطبقة كوحدة زمنية واضحة الحدود وجعلها تساوى عشر سنوات ، وبذلك خالف الذهبي الاقدمين الذين إعتبروا اللقيا أساس التقسيم على الطبقات بل خالف نهجه هو في تذكرة الحفاظ الذى أعتبر فيه اللقيا ولم يعتبر الوفيات ، ومع ذلك فان الذهبي المحدث لا يستطيع أن يتخلص نهائيا من اعتبار اللقيا ففي ترجمة عبدالله بن الصامت في الطبقة الثامنة يقول « وقد تأخرت وفاته عن هذه الطبقة فسيعاد ان شاء الله تعالى »[١٥٨] .

٣ ـ التنظيم على المدن :

ان اقدم ما وصلنا من كتب الرجال التي اتبعت التنظيم على المدن كتاب (الطبقات) لخليفة بن خياط وكتاب (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد ثم كتاب (الطبقات) لمسلم بن الحجاج (٢٦١هـ) ثم كتاب (التاريخ الكبير) لابن أبي خيثمة (٢٧٩هـ) ثم كتاب (مشاهير علماء الامصار) لابن حبان البستي (ت ٤٥٣هـ) وقد مثل هؤلاء المؤلفون شمول النظرة واتساع الافق فكانت رقعة العالم الاسلامي بحدوده المترامية ميداناً فسيحاً لدراساتهم ، على أن نصيب المدن في كتبهم كان يتوقف على مكانتها العلمية ومدى نشاط الرواية فيها ، فكلما كان عدد علمائها كثيرا وكانت الرواية فيها نشيطة كلما خصص لها المصنفون نصيبا أوفر في كتبهم ، لذلك كان حظ المدينة المنورة وافرا في هذه المصنفات جميعا فقد خصص لها خليفة بن خياط اكثر من ثلث كتابه وكان حظها في طبقات ابن سعد وافرا أيضا فمن مجموع الستة مجلدات التي تناولت تراجم رجال الحديث نجد ثلاثة أجزاء تخصص للصحابة والصحابيات من أهل المدينة[١٥٩] ، ومجلدا رابعا اشرك

---

(١٥٦) الذهبي : تاريخ الاسلام ٢/٦٦ .
(١٥٧) المصدر السابق ٢/٨٦ .
(١٥٨) المصدر السابق ٣/١٧٦ .
(١٥٩) المجلد الثالث والرابع والثامن من الطبقات الكبرى لابن سعد (طبعة بيروت) .

فيه مع المدينة بقية مدن الحجاز الاخرى الا أن للمدينة فيه حصة اكبر [١٦٠]. وللمدينة نصيب كبير أيضا في تاريخ ابن ابي خيثمة وفي كتاب مشاهير علماء الامصار لابن حبان ، واتفاق المصنفين على اعطاء المدينة هذه الاهمية الكبيرة له أهمية في الدلالة على كثرة العلماء ونشاط الرواية فيها وتفوقها على مراكز العلم الاخرى في العالم الاسلامي خلال القرنين الاولين للهجرة على الاقل ، ولا عجب في ذلك لان المدينة دار السنة فيها تجمع الصحابة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الهجرة تلقوا الرواية عن النبي (ص) فكانوا مصادر العلم لمن جاء بعدهم من حملة العلم ورواة الآثار • ومن المدينة انتشر العلم الى بقية المدن والامصار بخروج عدد كبير من الصحابة منها بعد وفاة النبي (ص) حيث استقروا في البلاد المفتوحة ونشروا العلم والرواية فيها •

ان المكانة العلمية والادبية التي تمتعت بها المدينة تجعل من الصعوبة بمكان أن تتقدمها أية بلدة أخرى حتى أن ابن الجوزي (القرن السادس الهجري) أراد أن يتخذ بغداد نقطة البداية في ترتيب كتابه (صفة الصفوة) لانها أولى من غيرها الا أنه « لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما »[١٦١] فانه بدأ بالمدينة ثم ذكر مكة قبل بغداد •

أما بقية مدن الحجاز فقد كان دورها في الرواية ضئيلا اذا قيست بالمدينة ، وتبرز بينها مكة بسبب مركزها الديني واجتماع العلماء فيها في مواسم الحج حيث يعقدون بعض الحلقات العلمية خلال هذا الموسم كما برز بعض الموالي من أهلها في العلم والرواية • ان نشاط الرواية يظهر بصورة قوية تكاد تضاهي المدينة في العراق وعلى وجه التحديد في الكوفة والبصرة فقد استقر فيهما عدد كبير من الصحابة فيهم من اشتهر بقراءة القرآن مثل أبي موسى الاشعري وفيهم من عرف بالفقه مثل عبدالله بن مسعود الذى اسس مدرسة في الكوفة برز من بين تلاميذها عدد من جهابذة

---

(١٦٠) المجلد الخامس (طبعة بيروت) •

(١٦١) ابن الجوزي : صفة الصفوة ١/٧ ـ ٨ •

العلم ، وكان للدور السياسي الذي لعبته الكوفة في القرن الاول الهجري خاصة أثر كبير في تنشيط الرواية فيها فالنزاع السياسي بين دمشق والكوفة جعل الحاجة الى الرواية قوية لدعم وجهات نظر المتنازعين في عصر كان اهله يهتمون كثيرا بموافقة أعمالهم للشرع الذى كان يعني آنذاك نصوص القرآن والحديث .

أما دور البصرة في الرواية فهو يلي دور الكوفة فقد نزلها صحابة لا يقل عددهم عمن نزلوا الكوفة ، ولكن عدد من اشتهر بالرواية من التابعين من أهل البصرة أقل من عددهم في الكوفة فقد ذكر ابن سعد ما ينيف على الخمسمائة تابعي ممن عرفوا بالرواية من أهل الكوفة ولم يزد عدد التابعين الذين عرفوا بالرواية من أهل البصرة على المائتين الا قليلا ، ولعل في ذلك ما يلقي ضوءا على درجة شيوع العلم وكثرة العلماء في المدينتين .

وتأتي بقية مدن العراق بعد الكوفة والبصرة في النشاط العلمي خلال الفترة التي شملتها دراسة كل من خليفة بن خياط ومحمد بن سعد ، ويلاحظ تأخر بناء مدينتي واسط وبغداد فلم ينزل فيهما صحابي ولا تابعي بل نزح اليهما أتباع التابعين من الكوفة والبصرة[١٦٢] ، فكان ازدهار العلم ببغداد متأخرا عن دراسة خليفة وابن سعد لذلك لم تحض بنصيب وافر في كتابيهما وقد أصبحت بغداد فيما بعد مدينة العلم وموسم العلماء حتى ذكرها ابن حبان في جملة المدن التي نزلها الصحابة تعصبا لها بعد أن ذكر أنها محدثة لم ينزلها أحد من الصحابة[١٦٣] . ولم تكن أهمية المشرق الاسلامي قد برزت في الرواية خلال القرنين الاولين للهجرة لذلك لم ينل عناية كبيرة عند خليفة بن خياط ولا عند محمد بن سعد وقد ازدهرت الرواية فيه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ومن ثم فقد اعتبرهما ابن حبان من الاقاليم « المشهورة في الاسلام المعروفة بعلماء الايام »[١٦٤] . كذلك كان

(١٦٢) ابن حبان البستي : مشاهير علماء الامصار/١٧٦ .
(١٦٣) المصدر السابق/١٩٤ .
(١٦٤) المصدر السابق/١ ـ ٢ .

دور غرب العالم الاسلامي ثانويا في الرواية خلال القرنين الاولين الا الشام فقد نزلهما عدد كبير من الصحابة وتليها من حيث نشاط الرواية مصر أما الجزيرة والعواصم والثغور •• أما أيلة وأفريقية والاندلس فلم تبرز في هذه الفترة المبكرة فكان حظها في كتابي خليفة وابن سعد قليلا أيضا • ويبدو من ملاحظة تسلسل المدن عند خليفة بن خياط ومحمد بن سعد أن كليهما راعى في تقديم البلدة على غيرها كثرة العلماء ونشاط الرواية فيها وهذا يظهر في اتفاقهما على تقديم المدينة فالكوفة فالبصرة على بقية المدن الاسلامية كذلك فعل ابن حبان بعد ما ينيف على القرن من ظهور كتابي خليفة وابن سعد •

/ كذلك نجد أن خليفة يذكر الصحابة من أهل المدينة ثم ينتقل مباشرة الى الكلام عن الكوفة قبل أن يتم طبقات أهل المدينة ، ولا يعود الى ذكر التابعين ومن بعدهم من أهل المدينة الا بعد أن ينهي كلامه عن أهل الكوفة بكافة طبقاتهم ثم ينتقل الى البصرة فيذكر طبقاتهم كافة وبعد ان ينتهي منهم يعود الى المدينة فيذكر بقية طبقاتها ، ولعله أراد أن يتم المادة المتعلقة بالصحابة فلاحقهم الى الامصار التي استقروا فيها باعداد كثيفة •

- وثمة ظاهرة أخرى تبرز عند خليفة هي أنه لم يراع العامل الجغرافي كثيرا في تسلسل المدن التي ذكرها فهو يقفز من مكان الى آخر فقد انتقل كما ذكرت من الحجاز الى العراق ثم عاد الى الحجاز وكذلك لم يتناول واسط وبغداد بعد الكوفة والبصرة بل ذكرهما في آخر كتابه ولعله اعتبر في ذلك المكانة العلمية حيث أن واسط وبغداد تأخرت عمارتهما وبالتالي تأخر ازدهار الرواية فيهما عن المدن الاخرى • ان مراعاة العامل الجغرافي في تسلسل المدن يظهر عند محمد بن سعد فعندما ذكر المدينة لم ينتقل من الحجاز الا بعد أن ذكر مراكز العلم الاخرى فيه وهي الطائف واليمن واليمامة والبحرين على التوالي ، وعندما ذكر الكوفة والبصرة لم يغادر العراق الا بعد ذكر واسط والمدائن وبغداد ، ثم ذكر المشرق بكافة مراكزه وهي خراسان والري وهمدان وقم والانبار على التوالي ، ثم انتقل الى

المغرب فذكر الشام ثم الجزيرة فالعواصم والثغور فمصر فأيلة فأفريقية فالاندلس وهكذا راعى ابن سعد العامل المكاني في تسلسل المدن الى جانب مراعاته المكانة العلمية ، ويظهر اعتبار العامل الجغرافي في تسلسل المدن عند مصنف آخر هو مسلم بن الحجاج حيث أن تسلسل ذكر المدن عنده مطابق لما هو عند ابن سعد(١٦٥) وكذلك يظهر اعتبار العامل الجغرافي عند ابن ابي خيثمة في التاريخ الكبير فقد ذكر مكة فالطائف فاليمن فاليمامة فالمدينة فالكوفة .

وقد اهمل خليفة أماكن ذكرها ابن سعد وهي همدان وقم والانبار والبحرين والثغور وأيلة والاندلس ولكنه أضاف مراكز جديدة أهملها ابن سعد وهي الموصل والمغرب وقد تناول المغرب بشيء من التفصيل .

وبعد مضي حوالي القرن من تأليف الكتب السالفة الذكر ألف محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) كتابه (مشاهير علماء الامصار) ورتبه على المدن أيضا لكنه لم يتقيد بتسلسل المدن الذى وجدناه عند خليفة وابن سعد الا من حيث تقديم المدينة على بقية المدن ، وابن حبان صريح في بيان اقتصاره على الاماكن التي شملها بحثه فهي « ستة أصقاع تشملها عمارة الاسلام وما وراءها من المدن يسكنها غير أولي الاحلام أولها الحجاز بحواليها ، والثاني العراق بنواحيها ، والثالث الشام باطرافها والرابع مصر بجوانبها ، والخامس اليمن بما والاها ، والسادس خراسان بما دار عليها ، هذه المدن المشهورة في الاسلام المعروفة بعلماء الايام »(١٦٦) .

وقد ذكر سبب تقديمه المدينة على غيرها من المدن « لانها مهبط الوحي ومعدن الرسالة وبها نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ومنها انتشر الاسلام وظهر أعلام الدين وبها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعيه أبي بكر وعمر (رضهما) واياها قطن جلة الصحابة »(١٦٧) . ويشترط ابن

---

(١٦٥) عن تسلسل المدن في طبقات مسلم أنظر السخاوي : الاعلان/٦٨٤ .
(١٦٦) ابن حبان : مشاهير علماء الامصار/١ ـ ٢ .
(١٦٧) المصدر السابق/٣ .

حبان استيطان الرجل في المدينة كي يعده من أهلها ولا يهمه بعد ذلك أن تكون وفاته في غيرها[١٦٨] ، ومن هذا العرض تتبين ان العوامل التي اثرت في ترتيب المدن وتقديم بعضها على الآخر هي اولا المكانة العلمية للمدينة ، وثانيا الاهمية الدينية وثالثا العامل الجغرافي •

وكان كل من خليفة بن خياط ومحمد بن سعد وابن ابي خيثمة واسع الافق شامل النظرة حين جعل رقعة العالم الاسلامي ميدانا لدراساته ولاشك أن للرحلة في طلب العلم أثراً كبيراً في امتزاج علم الامصار المختلفة ، فقد بدأت الرحلة في طلب العلم في جيل الصحابة ، فكان الصحابي يرحل في طلب حديث واحد لم يسمعه عن النبي (ص) أو للتثبت من حديث يشك في دقة حفظه له ، وممن عرف بالرحلة من الصحابة جابر بن عبدالله[١٦٩] وابو ايوب الانصاري[١٧٠] ، واستمرت الرحلة في جيل التابعين لتلقي العلم عن الصحابة الذين تفرقوا في الامصار عقب الفتوحات ، وأصبح طلب الاسناد العالي هدفا للمحدثين فبدل أن يأخذ عن تابعي من طبقته فأنه يرحل الى الصحابي الذي أخذ عنه التابعي فيأخذ عنه مباشرة ، وكان لظهور الوضع في الحديث أثر في تنشيط هذه الرحلات العلمية طلبا للحديث من مظانه وتدقيقا لمصادره وبحثا عن أصوله وقد اشتهر بذلك من التابعين سعيد ابن المسيب ومسروق وعامر الشعبي والحسن البصري وأبو العالية الرياحي[١٧١] • وقد اتسع نطاق الرحلة في طلب العلم بعد جيل التابعين وبلغ أوجه في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ويقدم الرامهرمزي

---

(١٦٨) ابن حبان : مشاهير علماء الامصار/٣٧ ، ٤٣ •

(١٦٩) البخاري : الصحيح ١/٢٩ ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ١/٩٣ الخطيب : الكفاية/٤٠٢ •
الرامهرمزي : المحدث الفاصل ١/١٨أ •

(١٧٠) ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ١/٩٣ ـ ٩٤ والخطيب : الكفاية/٤٠٢ •

(١٧١) الدرامي : سنن ١/١٣٦ الرامهرمزي : المحدث الفاصل ٢/١٧ب ـ ١٨أ ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ١/٩٤ ، ٩٥ •
الخطيب : الكفاية/٤٠٢ ـ ٤٠٣ •

(ت ٣٦٠هـ) قائمة باسماء المحدثين الذين رحلوا في الاقطار مرتبا اياهم على الطبقات فذكر من رحل منهم الى عدة أقطار ومن قصد ناحية واحدة للقاء من بها من العلماء ، وهذه الاقطار التي كان العلماء يقصدونها هي مراكز الثقافة في العالم الاسلامي آنذاك • وقد كان للرحلة في طلب العلم أثر في شيوع العلم وتكثير طرق الاحاديث والتعرف على رجال الحديث لان المحدث يذهب اليهم في بلدهم فيخالطهم ويسألهم ويتعرف على احوالهم وسيرتهم في بلدهم ، ولولا الرحلة في طلب العلم لوجد طابع فكري محلي في كل مدينة من المدن الاسلامية بسبب العزلة العلمية لكن الروح الواسعة التي تحلى بها العلماء دفعتهم الى جوب الآفاق وأخذ العلم من شتى المراكز الفكرية في العالم الاسلامي ولو اهتم المحدثون بتدوين أخبار الرحـــلات وأوصاف المدن لقدموا معلومات غزيرة كتلك التي نجدها في كتب الرحلات المتأخرة مثل رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة •• ولكن المحدثين لم يهتموا بغير الحديث الذى كان هدف هذه الرحلات •

ان ما حققته هذه الرحلات من امتزاج علم الامصار يظهر بوضوح في مجاميع الحديث التي دونت خلال القرن الثالث الهجري وقد عملت هذه الرحلات على تقليل أثر العصبية والمنافسة في الحديث بين الامصار ، لذلك نجد أن المنافسة في الفقه بين مدرسة العراق ومدرسة المدينة ، وظهـور العصبية للرأي في النصف الاول من القرن الثاني الهجري يبدو أوضح بكثير من المنافسة بين الامصار في الحديث ، وأحسب أن الرحلة في طلب العلم وما ولدته من امتزاج علم الامصار المختلفة ، اضافة الى عدم احتمال علم الحديث ما احتمله علم الفقه من اتساع في الخلاف بسبب تباين الافهام والمدارك وتباين الاعراف المحلية وما يستتبعه من اختلاف الحاجيات بين مصر وآخر كل ذلك أثر في تقليل العصبية المحلية بين المحدثين ، كما أنه لا توجد لدينا مدارس متبلورة في الحديث كما هو الشأن في الفقه ، وان كانت هناك شروط ومقاييس في قبول الرواية او رفضها ، والاخذ عن الرجل أو رده ولكنها شروط فردية تتباين بين محدث وآخر لا مدرسة وأخرى ولا مصر وآخـــر ، ومع ذلـــك فقد وجدت العصبية المحـــلية مجـــالاً

بين أهل الحديث ففخر بعضهم بمصادر مروياتهم وتهكم بمصادر الآخرين وسخر من شيوخهم « فقد حضر جماعة من أهل الكوفة وأهل الحجاز عند عبدالله بن أدريس فجرى ذكر المسكر فحرمه الحجازيون وجعل أهل الكوفة يحتجون في تحليله الى أن قال بعضهم : حدثنا أبو اسحق عن سعيد بن ذى لعوة عن علي في الرخصة فقال الحجازيون : والله ما تجيئون به عن المهاجرين ولا عن الانصار ولا عن أبنائهم وانما تجيئون به عن العميان والعوران والعرجان والعمشان والحولان »[١٧٢] ، فرغم أن الجدل ثار حول مسألة فقهية الا ان نقد الحجازيين انصب على مصادر روايات أهل الكوفة اذ أن هذه الالقاب كلها للموالي ولم يتلقب بها العرب ، وهكذا فخر الحجازيون بشيوخهم من المهاجرين والانصار وتهكموا بالشيوخ الكوفيين الذين كانوا من الموالي ، ومن ذلك أيضا ما حدث به الاصيمعي « أنه سمع عمرو بن قيس يقول : ما ينصفنا أهل العراق نأتيهم بالقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله الطيب ويأتونا بنظرائهم زعموا بأبي التياح وأبي قلابة أسماء المقابلين ، لو أدركنا أبا الجوزاء لاكلناه بتمر ولو أدركنا الشعبي لشعب لنا القدور ولو أدركنا النخعي لنخع لنا الشاة !! »[١٧٣] .

وهكذا تتكرر السخرية بمصادر مرويات أهل العراق ، والذين ذكرتهم الرواية كلهم من الموالي . ولنستمع الى أبي عبدالله المقري[١٧٤] يخاطب أهل الري فيقول « يا أهل الري من الذي أفلح منكم ؟ ان كان ابن الاصبهاني فمنا وان كان ابراهيم بن موسى فمنا وان كان جرير فمنا وان كان الخط فجدي علمكم ، ما أفلح منكم الا رجل واحد ولن أقول لكم حتى تموتوا كمداً)[١٧٥] ، والطريف أن أبا عبدالله المقريء ولد بالري

(١٧٢) الحاكم : معرفة علوم الحديث/٧٣ .
(١٧٣) ابن عدي : الكامل ١/٤٤ب ـ ٤٥أ .
(١٧٤) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن عيسى المقري توفي سنة احدى وأربعين ومائتين كان اماما في القراءة وقد صنف كتبا في القرآن ولد بالري وكان أصله من أصبهان (ابو الشيخ الانصاري : طبقات المحدثين بأصبهان ٢/١٠٥ ـ ١٠٦) .
(١٧٥) ابو الشيخ الانصاري : طبقات المحدثين باصبهان ٢/١٠٥ ـ ١٠٦ .

وانما أصله من أصبهان فافتخر بمدينة آبائه وعاب على الري مسقط رأسه أنها لم تنجب علماء مشهورين ولقد دفعت المنافسة العلمية بين مدينة جرجان ومدينة نيسابور شاعرا من نيسابور هو محمد بن ابراهيم بن يحيى البشتي الى نظم قصيدة في رجال مدينته مفتخرا بتاريخ وحاضر المدينـــة العلمي ومباهيا بذلك مدينة جرجان وهذه بعض أبياتها :

ودع ذكر جرجـــان فان شيوخنا   ببلدة نيسابور أعلى فما الحـــزن
فيحيى بن يحيى لا يقاس بغـــيره   كفاك به عزا اذا كنت ممتحـــن
وتابعهم اسحق لله دره[176] نعـــم   والرباطي فضلهم غير مكتمن[177]

وقد لعبت عصبية الامصار دورا في نشوء تواريخ المدن بصورة عامة وبالتالي ظهور تواريخ الرجال المحلية التي تقتصر في التأليف على رجال بلدة بعينها بقصد اظهار مكانتها وتفوقها العلمي على غيرها من المدن ، وقد كانت عصبية الامصار دافعا مباشرا في كتابة بعض تواريخ الرجال المحلية قال حمزة السهمي (ت ٤٢٧هـ) في مقدمة كتابه تاريخ جرجان « فاني لما رأيت كثيرا من البلدان تعصب أهلها وأظهروا مفاخرها بدخول الصحابة•• رضي الله عنهم أجمعين بلادهم وكون الخلفاء والامراء وجماعة من العلماء عندهم ، حتى أرّخوا لذلك تواريخ وصنفوا فيها تصانيف على ما بلغهم ، ولم أر أحدا من مشايخنا رحمهم الله صنف في ذكر علماء أهل جرجان تصنيفا أو أرخ لهم تاريخا على توافر علمائها وتظاهر شيوخها وفضلائها فأحببت أن أجمع في ذلك مجموعا » ثم ذكر انحطاط النشاط الفكري في جرجان اذ تفانى العلماء الذين يوثق بعلمهم[178] •

ولعل أقدم كتاب خصص لرجال مدينة معينة هو تاريخ واسط لبحشل ألفه سنة ٢٨٨هـ وهذا لا يعني أن التواريخ المحلية لم تكن معروفة قبل بحشل ، فقد ألف ابن زبالة كتابه (أخبار المدينة) في حدود سنة ١٩٩هـ[179]

---

(١٧٦) في الاصل « فكر جرجان » وقد أثبت « ذكر جرجان » ليستقيم المعنى ، وكذلك « كفاك » أصلها « كلاك » و « دره » أصلها « درة » •
(١٧٧) الحاكم : تاريخ نيشابور/١٠٢ ــ ١٠٣ •
(١٧٨) السهمي : تاريخ جرجان/٣ ــ ٤ •
(١٧٩) أنظر عن نطاق ابن زبالة صالح العلي : المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز/١٣ •

وألف الازرقي (ت بعد ٢٤٤هـ) كتابه (أخبار مكة) في النصف الاول من القرن الثالث الهجري ، ولكن هذه المؤلفات في تواريخ المدن لم تتناول تراجم المحدثين في المدينة فلا صلة لها بعلم الرجال • وقد ذكر التقي الفاسي مؤرخ مكة في القرن الرابع عشر الميلادي في مقدمة كتابه (العقد الثمين) « أنه غير مسبوق بالفصل الذي خصصه للتراجم من كتابه »(١٨٠) وقد تعجب الفاسي من هذه الظاهرة فقال في كتابه الآخر شفاء الغرام « واني لا عجب من اهمال فضلاء مكة بعد الازرقي للتأليف على منواله ومن تركهم تأليفا لتاريخ مكة يحتوى على معرفة أعيانها من أهلها وغيرهم من ولاتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها كما صنع فضلاء غيرها من البلاد »(١٨١) •

« وأما تاريخ المدينة فقد عولج على نمط ما عولج به تاريخ مكة اذ يبدو أنه لم يحتو الا على قليل من التراجم ، يدل على هذا عدم اقتباس كتاب التراجم المتأخرين شيئا من تواريخ المدينة المنورة »(١٨٢) ، الا نقولا ضئيلة أوردها السخاوي عن عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ) في التحفة اللطيفة وهي لا تدل على أن ابن شبة ترجم للاشخاص بالشكل الذى نجده في كتب التراجم(١٨٣) ، فتواريخ المدن التي سبقت بحشل كانت تعني بطوبوغرافية المدينة وأخبارها ولم تركز على رجال البلدة لذلك فيمكن القول أن بحشل هو أقدم من أكد على رجال البلدة فقد أصبح العلماء أهم ما تتميز به المدن المتنافسة ، ومن ثم فقد غلبت التراجم على مادة تواريخ المدن بعد بحشل •

وقد قدم بحشل لكتابه بمقدمة مقتضبة جدا عن تاريخ وخطط واسط لا تتناسب وتواريخ المدن المؤلفة قبله ، ثم ترجم لعلمائها ، وقد تابعته تواريخ الرجال المحلية التالية في الشكل والمحتوى فالمقدمة ثم ذكر الصحابة فبقية

---

(١٨٠) روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين/٢٢٥ نقل ذلك عن العقد الثمين (أربعة مجلدات تيمور تاريخ ٨٤٩) •

(١٨١) المصدر السابق/٢٢٧ •

(١٨٢) المصدر السابق/٢٢٤ •

(١٨٣) أنظر العلي : المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز/١٨ •

رجال البلدة هو الهيكل العام لسائر تواريخ الرجال المحلية ، وان توسع البعض في المقدمة فضمنها معلومات طوبوغرافية وأخبارا واساطير تتصل بالمكان الذى يكتب عنه مما يعبر عن العصبية للامصار ، كما يبدو أن ذكر من دخل البلدة من الصحابة له صلة بحديث يرفعه بريدة الى النبي (ص) ونصه « من مات من أصحابي ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة »[١٨٤]. ومن ثم فقد حوفظ على تقديم الصحابة حتى في التواريخ التي لم ترتب مادتها على الطبقات مثل تاريخ أصبهان لابي نعيم وتاريخ بغداد للخطيب ، لقد نحت كتب الرجال المحلية منحى بحشل في تاريخ واسط فعل ذلك محمد بن سعيد القشيري في (تاريخ الرقة) الذي أملاه سنة ٣٣٤هـ ولكنه اقتصر في المقدمة على خبر فتحها وذكر شروط الصلح[١٨٥] ، وابو الشيخ الانصاري (ت ٣٦٩هـ) في (طبقات المحدثين بأصبهان) والقاضي عبدالجبار الخولاني (ت ٣٧٠هـ) في (تاريخ داريا) ولكن الاخير يحذف المقدمة المتعلقة بأخبار المدينة وأما أبو الشيخ الانصاري فيتوسع فيها كثيرا .. يتحدث فيها عن طوبوغرافية المدينة ثم عن فضائلها وعجائبها[١٨٦] ، وقد عبر أبو الشيخ بذلك عن اعجابه بمدينته وتعلقه بها . وقد تميزت ترجمة سلمان الفارسي الاصبهاني الاصل بطولها حتى أخذت نصف ما خصصه للصحابة الذين نزلوا أصبهان وعددهم ثمانية عشر صحابيا ، ولم ينس أن يذكر اختلاف الروايات في فتح أصبهان أكان عنوة أم صلحا ؟ ثم رجَّح أنه كان صلحا[١٨٧] .

---

(١٨٤) الخطيب : تاريخ بغداد ١/١٢٨ البيهقي : تاريخ البيهقي/٢٢ الحاكم : تاريخ نيشابور/٧ .

(١٨٥) القشيري : تاريخ الرقة/٣ ـ ٧ .

(١٨٦) كذكره أن أصبهان لا يزال فيها ثلاثون رجلا مستجابوا الدعوة بفضل دعاء ابراهيم عليه السلام لها . وقد أنبت الله في تربتها الزعفران وألقى في جبالها الشهد ، ويورد كتاب الحجاج بن يوسف الى عامله عليها وفيه أن أصبهان أوسع المملكة رقعة وعملا وأكثرها خراجا بعد فارس والاهواز وأزكاها أرضا ثم يذكر خيراتها الكثيرة بتفصيل .

(١٨٧) أبو الشيخ الانصاري : طبقات المحدثين باصبهان/المقدمة .

وقد تابعه ونقل عنه كثيرا أبو نعيم الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ) في كتابه (ذكر أخبار أصبهان) ، وان خالفه في ترتيب كتابه حيث رتب أبو نعيم كتابه على حروف المعجم • أما (تاريخ نيسابور) للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) فلا يختلف عن طبقات المحدثين بأصبهان لابي الشيخ في مقدمته وفي ترتيب تراجمه ، فهو يبدأ بذكر مفاخر خراسان والاحاديث في فضل الاعاجم ثم خص نيسابور بحديثين هما « خير خراسان نيسابور » والآخر « نعم البلد نيسابور » ، ثم ترجم لعلمائها على الطبقات •

كذلك فلا يلاحظ وجود اختلاف كبير حتى في التواريخ المحلية المتأخرة مثل (تاريخ بغداد) للخطيب (ت ٤٦٣هـ) و (تاريخ دمشق) لابن عساكر (ت ٥٥٧هـ) رغم أنهما تميزا بالشمول والتفصيل اذا لم يقتصرا على تراجم المحدثين ، كما وتوافرت لهما مادة أضخم نتيجة للتطور الذى أحرزته المدينة الاسلامية •

وهكذا لعبت المفاخرات بين المدن دورا كبيرا في صياغة مقدمات تواريخ الرجال المحلية ، بل ربما كانت حافزا لتدوين تواريخ الرجال المحلية بقصد اظهار مكانتها وتفوقها العلمي ، ولكي ينبغي أن لا ننسى أن الحافز الاصلي هو الرغبة القوية في خدمة علم الحديث عن طريق التعريف بالرواة ومواطنهم ، فتواريخ الرجال المحلية تدخل ضمن كتب علم الرجال ويجب أن ينظر اليها بهذا المنظار •

وقد أعتبر التعرف على شيوخ البلد ورواياتهم من اول ما تجب معرفته على طالب الحديث في ذلك البلد ، فهذا صالح بن أحمد التميمي الحافظ (ت ٣٨٤هـ) مؤلف طبقات الهمدانيين يقول « ينبغي لطالب الحديث ومن عني به أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله ، وتفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحه من سقيمه ، ويعرف أهل التحديث به وأحوالهم معرفة تامة ، اذا كان في بلده علم وعلماء قديما وحديثا ، ثم يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه »(١٨٨) •

---

(١٨٨) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢١٤ •

ان ميزة تواريخ الرجال المحلية هي أن معلوماتها عن علماء البلد الذي تختص بدراسته أدق وأكثر استقصاء وشمولا نتيجة عيش المصنف في البيئة التي يؤرخ لرجالها ولذلك فان تواريخ الرجال المحلية لقيت اهتماما من طلاب الحديث حتى أن بعضها كان يدرس في حلقات العلم وكان الخطيب البغدادي يحدث بتاريخ بغداد فيها »(١٨٩) وقد نقل أبو سعد السمعاني عن عبدالرحمن بن محمد القزاز أنه سمع جميع كتاب تاريخ مدينة السلام من مصنفه الخطيب الاجزآن توفيت والدته فشغله دفنها عن سماعهما ، ولم يعد الخطيب عليه ما فاته « لانه شرط في الابتداء أن لا يعاد الفَوتُ لأحد ، فبقي الجزء غير مسموع »(١٩٠) ، ويدل قوله « أن لا يعاد الفوت لأحد » أن الخطيب كان يحدث بتاريخه في حضور عدد من الطلاب .

وربما رحل البعض في طلب أحد تواريخ الرجال المحلية من ذلك رحلة أبي الفضل بن الفلكي الهمذاني الى نيسابور حيث كان أحد دوافعها الحصول على تاريخ نيسابور للحاكم(١٩١) .

ان التقسيم على المدن سواء في كتب الطبقات العامة أم نتيجة التصنيف في رجال بلدة واحدة يمكننا من معرفة بلدان الرواة ومواطنهم والصلة بين بعضهم ، فعن طريق معرفة أوطان الرواة يمكن التحقق من اللقاء بين الرواة ، فاذا لم يكونا من بلد واحد ، ولم يدخل أحدهما بلد الآخر ولا إلتقيا في حج ونحوه ، وليست للراوي اجازة بما يروي فعندئذ يُعرف أن في السند ارسالاً أو انقطاعاً أو عضلاً أو تدليساً(١٩٢) .

كما ان معرفة اوطان الرواة ربما تفيد في التمييز بين الاسمين المتفقين في اللفظ فينظر في شيخه وتلميذه الذي روى عنه ، فربما كانا أو أحدهما من بلد أحد المتفقين في الاسم فيغلب على الظن أن أحدهما هو المذكور في

---

(١٨٩) ياقوت : معجم الادباء ١/٢٤٦ .
(١٩٠) ياقوت : معجم الادباء ١/٢٥٢ ــ ٢٥٣ .
(١٩١) الخطيب : تاريخ بغداد ٥/٤٧٤ .
(١٩٢) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ/٣٨٦ .

السند لا سيما اذا لم يعرف له سماع بغير بلده[١٩٣] •

لقد استعاضت كتب تواريخ الرجال التى لم ترتب على المدن عن ذلك يذكر عداد الرجل في الامصار ، وربما نسبته الى المدينة والقبيلة معا ، أما قول البعض « أن ما حدث للعرب من الانتساب الى البلاد والاوطان لما غلب عليها من سكنى القرى والمدائن وضياع كثير من أنسابها فلم يبق لها غير الانتساب الى البلدان ، وكانت قبل ذلك تنسب الى القبائل »[١٩٤] فهو يصدق على المتأخرين من الرواة أما المتقدمون فقد ذكرت أنسابهم الى جانب ذكر الامصار التي نزلوها وذلك زيادة في التعريف بهم كما فعل البخاري في التاريخ الكبير وهو يترجم للمتقدمين اذ آخرهم من عاش في النصف الاول من القرن الثالث الهجري •

كتاب الطبقات لخليفة بن خياط

أهميتـــــه :

اهتم المؤلفون في الرجال والتراجم بكتاب الطبقات لخليفة بن خياط فنقلوا عنه الانساب وسني الوفيات ، فقد نقل عنه محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى) والبخاري في (التاريخ الكبير) والرامهرمزي في (المحدث الفاصل) وابن عبد البر في كتابيه (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) و (القصد والامم) وأبو الشيخ الانصاري في (طبقات المحدثين باصبهان والواردين عليها) وأبو نعيم الاصبهاني في كتابيه (حلية الاولياء) و (ذكر أخبار أصبهان) والسهمي في (تاريخ جرجان) وابن ماكولا في (الاكمال) وابن عساكر في (التاريخ الكبير) وابن الاثير في (أسد الغابة في معرفة الصحابة) والنووي في (تهذيب الاسماء واللغات) وابن كثير في (البداية والنهاية) والذهبي في كل من (تاريخ الاسلام) و (سير اعلام النبلاء) و (تذكرة الحفاظ) والمقدسي الجماعيلي في (الكمال في معرفة الرجال)

---

(١٩٣)و(١٩٤) العراقي : فتح المغيث ٤/١٦٤ •

والعسقلاني في كل من (تهذيب التهذيب) و (الاصابة في تمييز الصحابة) • وهناك مؤلفون في الرجال فقدت مؤلفاتهم ولكن بعض المراجع تدل على أنهم نقلوا عن خليفة مثل جعفر بن محمد المستغفري في كتابه عن الصحابة[١٩٥] ، وابن فتحون في كتابه عن الصحابة أيضا[١٩٦] ، وأبو موسى محمد بن أبي بكر الاصبهاني في الذيل على ابن مندة[١٩٧] •

رواة الطبقات عن خليفة :

روى الطبقات عن خليفة كل من بقيّ بن مخلد القرطبي[١٩٨] ، وأبي حفص عمر بن أحمد بن اسحق الاهوازي ، وأبي عمران موسى بن زكريا التستري • فأما بقيّ بن مخلد (ت ٢٧٦هـ) فهو أول من أدخل طبقات خليفة الى الاندلس وأدخل معها كتاب التاريخ لخليفة بن خياط أيضا[١٩٩] ، ولكن روايته للطبقات فقدت ولم تنقل عنها المصادر المتوفرة لدينا ، ولعل شيوع روايته اقتصر على بلاد الاندلس •

وأما أبو حفص الاهوازي فلم أعثر له على ترجمة ولكن يبدو من الاسانيد التي ذكرها ابن عساكر أن بعض علماء أصبهان روى الطبقات عنه مثل محمد بن أحمد بن اسحق الاهوازي[٢٠٠] وأبو الحسين بن اسحق الاصبهاني[٢٠١] وكذلك فان سند النسخة التي وصلتنا من الطبقات يتصل

---

(١٩٥) ابن الاثير : أسد الغابة ٣/٩٣ •
(١٩٦) العسقلاني : تهذيب ١٠/١٩٢ •
(١٩٧) العسقلاني : اصابة ٤/٣٢ •
(١٩٨) هو أبو عبدالرحمن القرطبي الحافظ ولد سنة ٢٠١هـ وتوفي سنة ٢٧٦هـ أخذ العلم عن شيوخ بلده ورحل الى بلاد المشرق فأخذ عن علماء مصر والشام والعراق (انظر ترجمته في مقدمتي لتاريخ خليفة بن خياط ص ٤٦) •
(١٩٩) حسين مؤنس : شيوخ العصر في الاندلس/٤٦ •
(٢٠٠) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٠/١٦٦ ، ١٨٦ ، ٣٥٣ ، ٣٩٥ ، ٤٢٧ ، ٤٥٩ ، ٤٩٤ •
(٢٠١) المصدر السابق ١٠/١٤٨ ، ١٦١ ، ٢١٨ ، ٢٨٧ •
وقد نقل ابن عساكر رواية التستري أيضا أنظر تاريخ مدينة دمشق ١٠/١٥ ، ٣٠٠ ، ٤٩٨ •

به حيث رواها عنه أبو بكر بن المقري حيث كتب في أعلى الوجه الاول من الورقة الاولى « أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم بن المقريء أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد بن اسحق الاهوازي بالاهواز شهر رجب سنة خمس وثلثمائة (٣٠٥هـ) » وسند النسخة المذكـور يـدل بوضوح على أن الذى رواها عن خليفة هو أبو حفص الاهوازي ولكن الاوراق التي تتقدم كل جزء والتي كتب فيها رقم الجزء مكتوب في كل منها « الجزء الاول » (أو الثاني أو الثالث حسب تتابع الاجزاء) من كتاب الطبقات عن خليفة بن خياط رواية أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري » مما يؤكد أن النسخة هي من رواية أبي عمران موسى بن زكريا التُستري عن خليفة ، فمن هو رواية النسخة اذاً أبو حفص الاهوازي أم ابو عمران التستري ؟ لم تترجم الكتب لابي حفص الاهوازي ولكن أخذه عن خليفة مباشرة تؤكده أسانيد ابن عساكر كما أنه يصرح في الطبقـات بأخذه عن خليفة مباشرة بقوله « حدثنا »[٢٠٢] • واما أبو عمران موسى بن زكريا التستري فلم يترجم له ـ فيما علمت ـ سوى الذهبي باقتضاب حيث ذكر أنه يروى عن شباب العصفري ونحوه[٢٠٣] وأنه شيخ للطبراني ولابي الطاهر الذهلي وخلق من علماء تُستر[٢٠٤] ونقل تضعيف الدار قطني له وقوله أنه متروك[٢٠٥] ولم يفسر سبب جرحه له • ومـا دام كـل من الاهوازي والتستري قد صرحا بالنقل مباشرة عن خليفة فأحتمال نقل أحدهما عن الآخر هذه النسخة ينعدم والذي يبدو لي أن النسخة كتبت بالاعتماد على الروايتين معا وأن التطابق بين الروايتين تام لانهما مكتوبتان ، وقد سمعت النسخة على أبي بكر بن المقريء الذى استمعها من أبي حفص الاهوازي سنة ٣٠٥هـ ومن ثم فان تاريخ النسخة لا يمكن أن يكون بعد منتصف القرن الرابع الهجري بكثير لان ابن المقري (توفي سنة ٣٨١هـ) كما ان

(٢٠٢) خليفة : الطبقات/١٢٢أ •
(٢٠٣) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣/٢١٠ •
(٢٠٤) الذهبي : المشتبه ١/٧٧ •
(٢٠٥) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣/٢١٠ •

هناك سماع على أبي الشيخ الانصاري المتوفي (سنة ٣٦٩هـ) • وهناك اسناد في بداية النسخة عليه شطب بحبر من النوع الذي كتبت به النسخة ولكن يمكن قراءة الكلمات ونصها (أخبرنا ابو محمد عبدالله بن محمد بن حيان ( )[٢٠٦] ابو القاسم الطبراني قال اخبرنا أبو عمران موسى بن زكريا التستري قراءة عليه قال حدثني خليفة بن خياط شباب أبو عمرو الشيباني الذهلي بعضه بالبصرة وبعضه بتستر » وبذلك يكون أبو الشيخ ابن حيان الانصاري قد نقل رواية التستري عن طريق أبي القاسم الطبراني وهو تلميذ التستري •

ولكن ابن حيان ينقل في كتابه (طبقات المحدثين باصبهان) من طبقات خليفة برواية أبي حفص الاهوازي[٢٠٧] وبذلك يكون أبو الشيخ الانصاري قد اطلع على روايتي الاهوازي والتستري لطبقات خليفة • مما يدعم القول بأن هذه النسخة كتبت بالاعتماد على الروايتين معا والراجح أن النسخة كتبت بالاعتماد على رواية التستري من طريق تلميذه أبي القاسم الطبراني ثم قورنت برواية الاهوازي وأضيف اسناده اليها في بداية الجزء الاول والجزء الثاني من الطبقات ، ولعل كاتب النسخة أراد توثيق روايته باسنادها الى الاهوازي أيضا خاصة وأن الدار قطني ضعف التستري وقال أنه متروك ولئن كان حكم الدار قطني المتوفي سنة ٣٨٥هـ متأخرا عن كتابة النسخة فان رأي الدار قطني فيه هو رأى علماء سبقوا الدار قطني وعرفوا التستري فحكموا عليه بالضعف لان الدار قطني لم يعاصر التستري ولم يره ولا يمكن أن يقول عنه « متروك » جزافا •

وصـــف النســـخة :

اعتمدت في التحقيق على نسخة فريدة ـ فيما أعلم ـ من مخطوطات

---

(٢٠٦) لم يذكر صيغة التحمل ولكن الطبراني توفي سنة ٣٦٠هـ وابن حيان توفي سنة ٣٦٩هـ ولذلك فمن المحتمل أن تكون صيغة التحمـــل (أخبرنا) أو (حدثنا) •

(٢٠٧) أبو الشيخ الانصاري : طبقات المحدثين بأصبهان ٥٦/١ •

المكتبة الظاهرية بدمشق (حديث ٥٤٤) وهي تقع في ٩٧ ورقة « تشققت آخر واحدة منها وأصابت الرطوبة بعضها بما لم يذهب أثر الكتابة ، وحجم الورقة ٢٩ × ١٦ سم ، ٢٨ سطرا ، وحاشيتها ٢ سم ، عليها تعليقات قطع بعض طرفها حين التجليد وقد كتبت بخط تعليق قديم ، معظمه معجم ، وبعض العناوين بقلم ثخمين أو مفردة ، وهناك خطوط بقلم أحمد ضعيف على بعض الاسماء والعناوين »(٢٠٨) وقد كتبت النسخة في أوائل القرن الرابع الهجري ، ولعل كاتبها هو صاحبها الاول محمد بن أحمد بن محمد الازدي ، اذ لا يوجد ذكر صريح لاسم الناسخ ولم أعثر لمحمد الازدي هذا على ترجمة •

ان هذه النسخة تامة حيث ذكر في نهاية الجزء الخامس (تم كتاب طبقات الرجال والنساء بحمد الله ومنّه) ومما يؤيد كمال النسخة أن النقول الموجودة في المصادر المتوفرة لا تكاد تضيف شيئا الى مادة النسخة ، وأما قول ابن خير الاشبيلي أن رواية بقيّ بن مخلد لطبقات خليفة كانت من ثمانية أجزاء(٢٠٩) فلا يدل على نقصان رواية التستري التي وصلتنا لان اختلاف عدد الاجزاء يرجع الى اختلاف عدد أوراق الجزء أو اختلاف حجم الحرف الذي يرسمه الناسخ • وقد تناقلت الايدي هذه النسخة بالشراء وغيره فكان ممن صارت اليهم عدد من كبار حفاظ أصبهان منهم محمد بن أحمد بن ابراهيم الحمال وأبو بكر عبدالواحد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الباطرقاني(٢١٠) ثم صارت لمحمد بن الفضل بن محمد الحلاوي(٢١١) ،

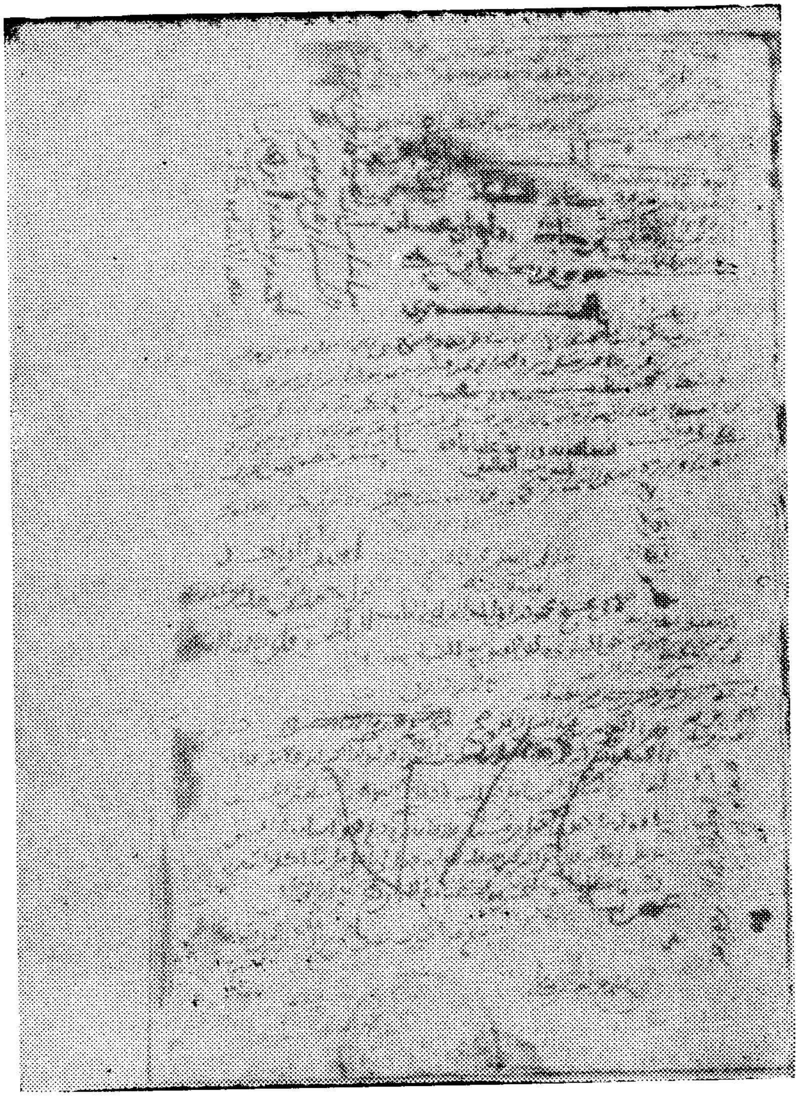
---

(٢٠٨) الوصف ليوسف العش ، أنظر : فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية/١٩٩ ـ ٢٠١ •

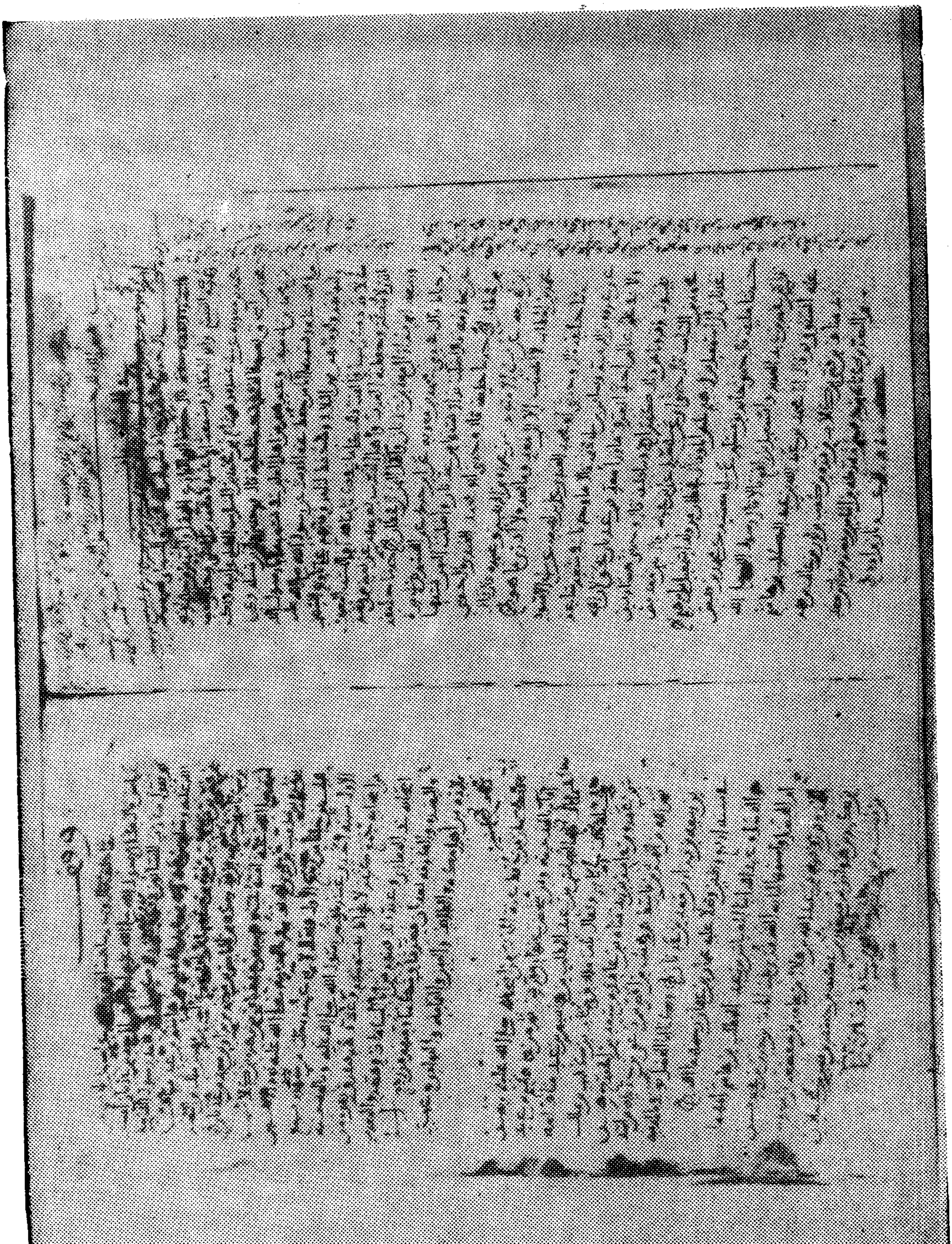
(٢٠٩) ابن خير الاشبيلي : فهرسة/٢٢٥ •

(٢١٠) أحد القراء المجودين ،كان اماما في القرآن حافظا للروايات ، وهو امام جامع جورجير بأصبهان ، قتل في فتنة الخراسانية سنة ٤٢١هـ • (أنظر السمعاني : الانساب ـ الطبعة الحجرية ـ/٦٠) •

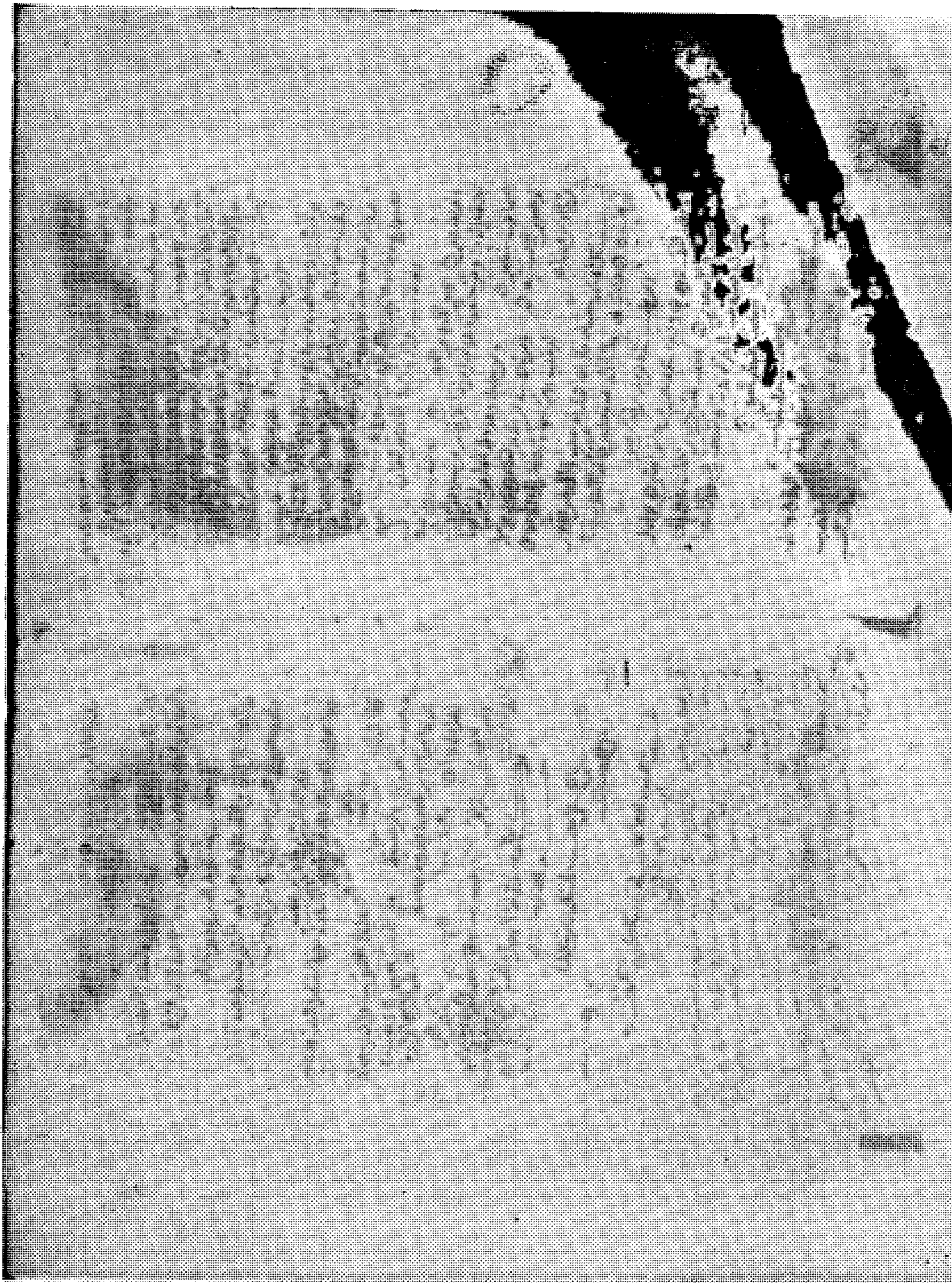
(٢١١) هو أبو الفضل محمد بن الفضل الحلاوي الاصبهاني الحافظ ، توفي سنة نيف وسبعين وأربعمائة (أنظر الذهبي : المشتبه هامش (٢) ص ٢٥٩ وهو تعليق لابن ناصر الدين) •



الورقة الاولى من مخطوطة كتاب الطبقات وفيها عنوان الكتاب واسم مؤلفه وبعض السماعات



الورقة الثانية وهي بداية كتاب الطبقات وعليها سند النسخة وبعض السماعات



آخر كتاب الطبقات وقد أثرت الرطوبة في مسح بعض الكلمات

وصارت بعد ذلك لابي الفتوح الشربي ثم اشتراها منه الامام أبو نجيح محمود بن أبي الرجال بن أبي الطيب ثم صارت بعد وفاته لابنه فاشتراها منه أبو جعفر محمد بن اسماعيل بن أسعد ، ولا ندرى من تملكها بعد ذلك حتى صارت للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي الذي أوقفها •

كتبت على النسخة عدة سماعات ، وفيما يلي ذكر السماعات ، مع بيان المواضع التي ذكرت فيها ، وقد يتكرر السماع الواحد في عدة مواضع فكتبته مرة ثم ذكرت مواضع تكرره •

١ ـ سماع على أبي القاسم الطبراني[٢١٢] :

سماعا من أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني عن موسى بن زكريا التستري (الجزء الاول ق ١و٢) • وقد تكرر ذكر السماع في (١٣ ب) •

٢ ـ سماع على أبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان(٢١٣) :

سمع محمد بن أحمد الحرقي من أبي محمد بن عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان من لفظه وأبو علي بن تربية وعبدالله بن أحمد بن محمد الهمداني « •••• »[٢١٤] (الجزء الاول ٢ أ) •

وقد تكرر ذكر سماع الخرقي وابو علي بن تربية في (٢٠ ب) وفي (٢٢ أ) وهي بداية الجزء الثاني وفي (٣٣ ب) وهو منتصف الجزء الثاني •

---

(٢١٢) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني حافظ عصره صاحب الرحلة سكن أصبهان آخر عمره وصنف التصانيف • ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٦٠هـ وأول قدومه أصبهان سنة ٢٩٠هـ • (أنظر السمعاني : أنساب/٣٦٦ وابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣٠) •

(٢١٣) هو أبو الشيخ الانصاري صاحب (طبقات المحدثين بأصبهان) توفي سنة ٣٦٩هـ •

(٢١٤) بالاصل ممسوح •

سمع محمد بن أحمد الخرقي وأبو علي بن تربية وأبو علي « .... »[٢١٥]·وعبدالله بن محمد الخراساني وعبدالرزاق بن ابي الشيخ[٢١٦] . الى موضع البلاغ (٣٣ ب) .

سمع محمد بن أحمد الخرقي وعبدالوهاب بن أبي أحمد[٢١٧]ومحمد بن عبدالعزيز بن الخيبري[٢١٨] وعبدالله بن محمد بن يعقوب[٢١٩] وعبدالله بن أحمد الهمذاني وأبو علي بن تربية وعبدالله بن محمد الخراساني ومحمد بن ابراهيم بن المرزبان (٤٤ ب وهو بداية الجزء الثالث) وتكرر السماع (٤٩ ب) باضافة عبدالرحمن بن علي الحرقي ومحمد بن عبدالله التمار . وحذف عبدالوهاب بن أبي أحمد ومحمد بن عبدالعزيز بن الخيبري وعبدالله بن أحمد الهمذاني ومحمد بن ابراهيم المرزبان .

وتكرر السماع أيضا (٥٨ ب) وكذلك (٦٣ أ) باضافة محمد بن علي الحمال وعبدالله بن محمد بن علي وحذف عبدالوهاب بن أبي أحمد وعبدالله بن محمد بن يعقوب وعبدالله بن أحمد الهمذاني في (٥٨ ب) وباضافة محمد بن علي الحمال فقط وحذف عبدالوهاب بن أبي أحمد في (٦٣ ب ، وهو أول الجزء الرابع) وتكرر السماع في (٧٣) وكذلك في (٨١ ب وهو بداية الجزء الخامس) وكذلك في (٨٥ ب) باضافة محمد بن علي الحمال في (٧٣) واضافة محمد بن علي الحمال أيضا وحذف أبو علي بن تربية في (٨١ ب) واضافة محمد بن علي الحمال وحذف عبدالوهاب

---

(٢١٥) نسبته ممسوحة .

(٢١٦) هو ابن ابي الشيخ الانصاري روى عنه أبوه توفي سنة نيف وخمسين وثلثمائة في حياة والده .
(أنظر أبو نعيم : ذكر أخبار أصبهان ١٣٦/٢) .

(٢١٧) عبدالوهاب بن أبي أحمد محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو عامر الغسال (أبو نعيم : ذكر أخبار أصبهان ١٣٤/٢) .

(٢١٨) محمد بن عبدالعزيز بن محمد أبو منصور الخيبري الطبيب سمع من الخشاب وعبدالله بن جعفر (أبو نعيم : ذكر أخبار أصبهان ٣١٠/٢) .

(٢١٩) لعله عبدالله بن محمد بن يعقوب بن مهران الخزاز المتوفي سنة ٣١٣هـ . (أبو نعيم : ذكر أخبار أصبهان ٧١/٢) .

بن أبي أحمد وعبدالله بن أحمد الهمذاني في (٨٥ ب) .

سمع محمد بن أحمد الخرقي وأبو علي بن تربية والجماعة (٩٧ ب وهو نهاية الطبقات) .

سماع على محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم أبو بكر بن المقريء(٢٢٠) :

سمع محمد بن صالح بن محمد من أبي بكر بن المقريء وعبدالواحد بن أحمد الباطرقاني ومحمد بن أحمد بن محمد سبط أبي الشيخ ومحمود بن مزاحم وأحمد بن محمد الهرندي ومحمد ابنه ومحمد بن أحمد بن ابراهيم الحمال ومحمد بن عبدالله بن علي « ...... »(٢٢١) (٢٢ آ) وقد تكرر السماع (٤٠ ب آخر الجزء الثاني) باضافة عبدالواحد بن موسى بن حسنون وابراهيم بن سبط أبي الشيخ وأبو علي بن الرجال .

وتكرر السماع (٤٣ أ بداية الجزء الثالث) باضافة عبدالواحد بن موسى بن حسنون وابي الفتح سبط ابي الشيخ .

وتكرر أيضا في (٥٢ ب منتصف الجزء الثالث) باضافة ابي الفتح سبط أبي الشيخ ، وحذف محمد بن أحمد بن ابراهيم الحمال ومحمد بن عبدالله بن علي .

وتكرر أيضا في (٦١ ب) باضافة أبي الفتح سبط أبي الشيخ وحذف محمد بن أحمد بن ابراهيم الحمال ومحمد بن عبدالله بن علي ومحمود بن مزاحم .

وتكرر أيضا في (٦٣ أ) باضافة ابي الفتح سبط ابي الشيخ وحذف

---

(٢٢٠) محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان أبو بكر ابن المقريء محدث كبير ثقة أمين صاحب مسانيد وأصول سمع بالعراق والشام ومصر ما لا يحصى كثرة توفي في شوال سنة ٣٨١هـ وكان من المعمرين توفي عن ست وتسعين سنة (ابو نعيم : ذكر أخبار أصبهان ٢/٢٩٧) وقد ذكره الجزري مع القراء في كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٨٣) وترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/٩٧٣ — ٩٧٤ .

(٢٢١) ممسوح بقدر كلمة .

محمد بن أحمد بن ابراهيم الحمال ومحمد بن عبدالله بن علي •

وتكرر أيضا في (٨١ ب وهو بداية الجزء الخامس) باضافة ابي الفتح سبط أبي الشيخ وحذف محمد بن أحمد بن ابراهيم الحمال ومحمد بن عبدالله بن علي •

ثم تكرر السماع في آخر الطبقات (٩٧ ب) باضافة أبي الفتح سبط أبي الشيخ وحذف أحمد بن محمد الهرندي ومحمد ابنه ومحمد بن أحمد بن ابراهيم الحمال ومحمد بن عبدالله بن علي •

سماع على أبي بكر عبدالواحد بن أحمد بن محمد الباطرقاني(٢٢٢) سنة ٤١٧هـ :

سمع هذا الجزء الاول من عبدالواحد بن أحمد الباطرقاني عن ابي بكر بن المقريء محمد بن أحمد بن محمد الأدمي ومحمد بن علي بن محمد المؤذن وأحمد بن محمد بن علي بن وصيف ومحمد بن الفضل بن محمد الحلاوي(٢٢٣) بقراءته وتكرر هذا السماع في الجزء الثاني (٢١ب) وذكر تاريخ السماع في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وأربع مائة • وتكرر في الجزء الثالث (٤٢ ب) بحذف محمد بن احمد الادمي وذكر تاريخ السماع السابق • وذكر أن القراءة للحلاوي أيضا •

وتكرر في الجزء الرابع (٦٢ ب) باضافة محمد بن معمر الصوفي وعبدالله بن محمد الرفاعي وأثبت القراءة للحلاوي وسجل تاريخ السماع السابق أيضا • وتكرر في الجزء الخامس (٨٢ ب) باضافة محمد بن معمر الصوفي وعبدالله بن محمد الرفاعي أيضا ، وذكر تاريخ السماع السابق أيضا •

---

(٢٢٢) أبو بكر عبدالواحد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن العباس الباطرقاني امام جامع جورجير باصبهان كان اماما فى القرآن حافظا للروايات من أهل العبادة والخير قتل في الجامع أيام مسعود في فتنة الخراسانية ٤٢١ (أنظر السمعاني : الانساب/٦٠ ط حجرية) •

(٢٢٣)و(٢٢٤) أبو الفضل محمد بن الفضل الاصبهاني الحافظ توفي سنة نيف وسبعين واربعمائة (أنظر الذهبي : المشتبه/٢٥٩ هامش رقم (٢) وهو تعليق لابن ناصر الدين •

سماع على الشيخ أبي الفضل عبدالرزاق بن احمد بن محمد بن عبدالله البقال سنة ٤٤٤ :

سمع من هنا (٥٢ أ منتصف الجزء الثالث) الى البلاغ محمد بن الحسين بن محمد بن ذيفة بقـــراءة عبيـــدالله بن محمـــد بن الفضـــل الحلاوي[٢٢٤] على الشيخ ابي الفضل عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن عبدالله البقال عن أبى بكر بن المقريء وذلك في غرة المحرم سنة أربـــع وأربعين •

طريقة التحقيـــق :

١ ــ قارنت النسخة بما ورد من نقول عنها في الكتب المتأخرة ، وقد ذكرت مواضع هذه النقول وثبّت الاختلافات في الحواشي ، وهي تفيد أيضا في اثبات نسبة الكتاب لمؤلفه خليفة بن خياط •

٢ ــ تتكرر بعض التراجم في عدة مواضع كأن يذكر ترجمة الصحابي مع أهل المدينة ثم يعيده مع الكوفيين أو البصريين أو الشاميين ، وقد قارنت هذه التراجم المتكررة ببعضها وأثبت الاختلافات ــ ان وجدت ــ في الهامش •

٣ ــ ينقل خليفة عن ابن الكلبي كثيرا ، وقد ذكرت في الحواشي مواضع هذه النقول في كتاب (النسب الكبير) لابن الكلبي ، كما ثبت الاختلافات أيضا • وقد اعتمدت على نسختين خطيتين ، الاولى محفوظة في المتحـــف البريطاني بلندن (أول ١٢٠٢) والاخرى في مكتبة الاسكوريال (ثاني ١٦٩٨) ، والثانية تكمل الاول •

٤ ــ قارنت سائر الانساب التي ذكرها خليفة بكل من كتاب (النسب الكبير) لابن الكلبي و (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد و (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم • كما تمت مقارنة الكثير منها مع كتاب (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) لابن عبدالبر أيضا وهو من أوسع كتب الرجال في ذكر الأنساب• وقد ثبت الاختلافات بين هذه الاصول في الحواشي •

---

(٢٢٤) أنظر حاشية (٢٢٣) في ص ٧٥ م •